# ترتيب سُوَر القرآن

للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ .

دراسة - تحقيق وتعليق

الدكتور السيد الجميلي

منشورات

دار ومكتبة الهلال

حقوق هذه الطبعة محفوظة
ومسجلة للناشر

الطبعة الأولى

١٩٨٦

دار ومكتبة الهلال

بيروت ـ حارة حريك ـ شارع المقداد

ص.ب: ١٥/٥٠٠٣

# ترتيب سُوَر القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

# إهـــداء

إلى النمـير الصافي ، والجـدول الرقـراق ، والفرات العـذب ، والمـورد السخي ، والمنهـل الطيب ، والـروض الممـرع الخصيب الـذي أعـطى أطيب الثمار ، والتي لا نزال نجني غراسها حتى الآن . . .

لم تلِن قناته ، ولم تتضعضع عزيمته ، فلم يجفل إزاء المحن ، ولم ينكفىء أمام الطوفان .

من دنيا الفناء إلى دار البقاء الأبدي . . . إلى الإمام جلال الدين السيوطي في برزخه . . . أسأل الله أن يتغمده برحمة منه وفضل ويسكنه جنات النعيم في دار المقامة لقاء ما أثرى الفكر الإسلامي .

السيد الجميلي

# المقــدمة

إن الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . . وبعد ،

أراد الله سبحانه وتعالى أن ينتشل بالإسلام البشرية من غيابات الجهالة ، ومن ظلمات التردي ومن غياهب الوثنية التي طغى قتامها على العقول ، وخيم على الأفهام فكان مجتمع الجاهلية يرسف في أغلال التخلف وعبادة الأصنام ناسياً أن الخير كل الخير إنما هو في توحيد الخالق جل شأنه ، وكان حرياً بهم أن يعبدوا الحق جل شأنه على « الحنيفية السمحة » ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ، نسأل الله أن يثبتنا عليها .

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن ينزل القرآن الكريم منجماً على رسول الله ﷺ لحكمة اقتضت ذلك ، وإذا أراد الله شيئاً لم يمنعه شيء ، فلو أراد أن ينزله جملة واحدة ما ثناه أو عاقه عائق تعالى الله علواً كبيراً ولكن في التنجيم فضلاً ومنة وحكمة شريفة ومقصداً كريماً وهدفاً أسمى ، حيث أن التنجيم يجعل رسول الله ﷺ يتعلم كل يوم شيئاً جديداً ، فيزيده تثبيتاً وثقة واطمئناناً ، كما أن ذلك يوافق استيعاب الصحابة إذ يربيهم على منهج الله ويشيع بينهم فضائل وخلق الإسلام ، ويجيب عن أسئلتهم واستفساراتهم فلا يفاجأون بتشريعاته ، فكان لا بد أن ينزل مفرقاً منجماً حسب الحاجة والضرورة .

وقد تقرب الصورة إلى الأذهان إذا قسناها بمسألة الحمل والولادة فإننا نعلم أن الجنين يكبر في بطن أمه رويداً رويداً ويمر بأطوار عديدة حتى

يكتمل نموه في أحشائها تدريجياً ، ورغم ذلك فإنها تعاني ما تعانيه من آلام الحمل لا سيما للمرة الأولى ، إذ أن نطفة الجنين غريبة عنها وكل غريب تلفظه بنية الإنسان وتكوينه وجبلته .

ولا أحد يتصور حال المرأة لو جاءها الحمل بجنين كامل التكوين مرة واحدة ، ولا ريب أن ذلك مما يتعارض مع الفطرة البشرية والطبيعة والناموس الكوني .

وقد جاء الإسلام بمنهج حياة وعقيدة وعمل،من عبادات ومعاملات وغيره، ولا بد لاتباع هذا المنهج من نبذ العادات الجاهلية الأولى ، والكف عن الشهوات والإسراف في المعاصي واجتذاذ عقيدة الشرك المطمورة في داخل نفوس الناس .

وليس بالأمر الهين تغيير العقائد ، وليس من اليسير حمل الناس على منهج لم يألفوه من قبل ، وليس من الأوفق إعطاؤهم كل التعاليم دفعة واحدة دون ترويض وقبل التمهيد لها،حتى يتسنى لهم قبولها بعد تطويع غرائزهم وسجاياهم وتنبيه جانب الخير في نفوسهم . ثم إن تنجيم القرآن يعطي فرصة للناس حتى يتدبروا معانيه السامية ودلالاته الشريفة ومقاصده النبيلة،ويطعموا لذة سماعه فيرتوي منه الحس ويأنس به الوجدان .

ظل القرآن ينزّل نجوماً ساطعة لألاءة فانبلج صبح الهداية ، وأسفر الفجر وبدا عموده وانجلى شمراخه ، ونكص الجهل في غبش الظلمات هارباً يجر فلوله المنكوبة بتعالي كلمات التوحيد خافقة مدوية في أرجاء مكة ، ويثرب .

خلال ثلاثة وعشرين عاماً،ظلت النجوم تنزل تترى فكان النبي ﷺ يقرؤها على مكث ويقرؤها الصحابة شيئاً فشيئاً ، وتلك النجوم تنزل مع الأحداث والوقائع والمناسبات الفردية المتعاقبة على رسول الله ﷺ .

وقد بدأ نزول القرآن الكريم في ليلة القدر ، قال تعالى : ﴿ إنا

أنزلناه في ليلة القدر ﴾[١] .

وفي تنجيم سور القرآن الكريم رحمة من رب العالمين ولطف وبر برسوله ﷺ ، حيث كانت نزلة جبريل عليه فيها تفريج عن كروبه ومصاعبه التي لاقاها وقاسى منها وكابد من لأوائها ، لقاء نهوضه بالتبليغ عن ربه والذي كان غريباً وسط قومه وصاغيته .

ومن ثم ، كان تتابع نزول الآيات عليه يشد من أزره ، ويحمله على الصبر والمثابرة والمصابرة ويبشره بالنصر وتفريج الهموم في النهاية[٢] .

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ كذلك لنثبت به فؤادك ﴾[٣] .

كما أن رسول الله ﷺ كان يأخذ في ترديد الآية وتكرارها عند نزولها عليه متعجلاً حفظها مخافة أن تفلت منه حتى أنزل الحق سبحانه وتعالى قوله :

﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ﴾[٤] .

كذلك فإن احتواء القرآن الكريم على الفقه وغامة الأحكام بفروعها المختلفة حتم ألا يكون نزوله دفعة واحدة[٥] . حتى لا يفاجىء الناس

(١) القدر ( ٩٧ /١ ) قال المفسرون : سميت ليلة القدر لعظمها وقدرها وشرفها والمراد بإنزال القرآن إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل إلى الأرض في مدة ثلاث وعشرين سنة ، قال ابن عباس أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ . راجع الجامع لأحكام القرآن ( ١٩ / ١٣٠ ) ؛ ومختصر ابن كثير ( ٣ / ٦٥٩ ) .

(٢) راجع كتاب التعبير الفني في القرآن للدكتور بكري شيخ أمين . ص ٢١ . ط . الشروق سنة ١٩٧٩ م . بتصرف .

(٣) الفرقان ( ٢٥/ ٣٢ ) .

(٤) القيامة ( ٧٥ / ١٧ ) راجع تفسير روح المعاني للألوسي ( ٢٩ / ٤٢ ) ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٥) ثم إن الناسخ والمنسوخ ، في القرآن لا يمكن أن يتأتى إذا أنزل مجملاً ، فلا بد من التفريق والتنجيم .

ويباغتهم بقيوده التشريعية التي لم يألفوها ، ومن ثم كان يصعب ويشق عليهم الأمر،بل يستحيل حملهم على التزام المنهج .

* * *

أما ترتيب سور القرآن فإنه يختلف اختلافاً كبيراً عن ترتيب المصحف ولعل ذلك مرجعه إلى اختلاف المقصود وتباين الهدف من كلا الترتيبين . ونحن نعرف أن الفترة المكية كانت أحوج إلى تمكين العقيدة في نفوس الناس وترسيخ أطنابها في أعماق المجتمع ومزجها بوجدان كل فرد ، وذلك لأن العقيدة هي جماع الدعوة ومناط التكليف الأول ، ولم يشرع أي من العبادات في مكة إلا الصلاة لأنها حتمية لشحن طاقة المسلم بالطواعية والتسليم والولاء للخالق جل شأنه ، وهي من أسباب الإنقياد والتمكين للعقيدة .

وقد كانت السورة تنزل بمكة إلا آيات معلومات منها،مثلاً على ذلك : سورة الحج ، نزلت بمكة ، إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة[1] : ﴿ **هذان خصمان** . . .﴾الآيات الثلاث .

وسورة السجدة أيضاً نزلت بمكة،إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي : ﴿ **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً** . . . ﴾ الآيات الثلاث .

أيضاً سورة الزمر نزلت بمكة إلا ثلاث آياتٍ منها نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** . . . ﴾ الآيات الثلاث .

وقد حدث هذا التفريق في النزول باستثناء آية وآيات لتنزل بعد نزول أجزاء تلك السورة بسنوات بعيدة كما في سورة البقرة والأنعام

(١) وسورة الأنعام هي إحدى السور المكية الطويلة التي يدور محورها حول العقيدة الإسلامية وقضايا الدين الإيمانية ، ولم تتكلم ولم تتعرض لأي شيء من العبادات أو غيرها بل تناولت قضايا العقيدة الكبرى الأساسية من قضية الألوهية ، وقضية الوحي والرسالة ثم البعث والجزاء. راجع تفسير الشيخ الصابوني ( ٧ / ٣٦٢ ) بتصرف .

والأعراف والأنفال ويونس وهود ويوسف وأربعين سورة أخرى ، ومع ذلك فقد وضعت الآيات المتأخرة في نزولها من تلك السورة في أماكنها،متوافقة غير متنافرة متصلة غير منفصلة دقيقة البناء راسخة الاتصال لا يبدو معها قلق ولم يظهر فيها اضطراب[1] .

وهذا الارتباط الوثيق بين الآيات السابقة واللاحقة ينطق بروعة الإعجاز الحكيم المتقن .

ونحن بإزاء ترتيبين لسور القرآن : ترتيب في النزول ، وترتيب في المصحف . ولكل واحد منهما دلائل وسمات ومميزات لخدمة قضية حيوية بذاتها فلا يمكن الخلط بين هذه وتلك .

وهذا ينجلي من سورة المدثر حيث ورد في مفتتح الترتيب النزولي الحديث عن القرآن الكريم والذود عن حوزته والتنديد بالمعرضين عنه في قوله تعالى : ﴿ **ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر** ﴾[2]

ثم قوله تعالى عز من قائل : ﴿ **كلا إنه تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة** ﴾[3] .

ثم يصور القرآن الكريم صدوف الكفار المعاندين المرجفين عن دعوة الحق بقوله : ﴿ **فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمرٌ مستنفرة . فرت من قسورة** ﴾[4] .

ثم يأتي في سورة القلم ثانية سور القرآن الحكيم حسب الترتيب

---

(١) وهذه الدقة الرائعة في تلاحم الآيات المتأخرة ، ووضعها في مواضعها الأصلية من النصوص المتقدمة بتوافق وإنسجام إنما يدل على عظمة الخالق جل شأنه وعلى أن القرآن الكريم معجزٌ في كل ما جاء به وأنه ليس من قول بشر .

(٢) المدثر ( ٧٤ / ٢٣ ـ ٢٥ ) .

(٣) المدثر ( ٧٤ / ٥٤ ـ ٥٦ ) راجع تفسير الآيات في الفخر الرازي الكبير ( ٣٠ / ٢١٣ ) .

(٤) المدثر ( ٧٤ / ٤٩ ـ ٥١ ) راجع تفسير البحر المحيط ( ٨ / ٣٨٠ ) .

النزولي فيمضي الحديث عن الوليد بن المغيرة في قوله تعالى : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين . إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . سنسمه على الخرطوم** ﴾(1) .

وفي نهاية السورة يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون . وما هو إلا ذكر للعالمين** ﴾(2) .

أما في بداية المصحف فنرى الترتيب في غاية الدقة والحديث عن القرآن يختلف اختلافاً تاماً ، فلو تأملنا أول سورة البقرة لوجدنا قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب** ﴾(3)

ثم بعد ذلك يقول عز من قائل :

﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾(4) .

نستنبط مما تقدم أن القرآن في أول ترتيبه النزولي يتجه،في أول سورة المدثر الى تسفيه قول الوليد بن المغيرة والتنديد به ، ثم ينعى على مثله ، وهم كثيرٌ وقتذاك،الاعراض عما جاء به التنزيل من تذكرة لأولي النهي .

---

(1) القلم ( ٦٨/ ١٣ ـ ١٦ ) قال الشيخ الصاوي في حاشية على الجلالين : ( ٤ / ٢٣٣ ) :«لم يكن الوليد يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية بقوله تعالى : ﴿ زنيم ﴾ في وصف الوليد ، حيث اعترفت له أمه أن أباه كان عنيناً فمكنت راعياً منها فوقع عليها فلما تغشاها حملت في الوليد » أ هـ . بتصرف .

(2) القلم ( ٦٨/ ٥١ ، ٥٢ )

(3) البقرة ( ٢ / ٢ ، ٣ ) .

(4) البقرة ( ٢ / ٢٣ ، ٢٤ ) .

ثم يأتي القرآن الكريم في سورة القلم،فيصل الحديث عن الوليد بقوله تعالى :

﴿ ولا تطع كل حلاف مهين * همَّاز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم * إن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾(١) .

وهنا تبرز العظمة الإلهية في التنسيق والإبداع القرآني ، اللذين يثبتان للأفهام أن هذا القرآن هو المعجزة الكبرى لله ، وحجة السماء على أهل الأرض أجمعين ، وأن كلمته هي العليا وكلمة الباطل اللجوج مدحوضة ذميمة مردودة .

وتأخذ العقل والفهم والفكر الحيرة ، عندما يجد السورة الحادية والخمسين في ترتيب النزول قد تصدرت المصحف، وهي سورة البقرة . . . . وهذا الإتقان ضروري حتمي ، لمجاراة هذه الكوكبة الهائلة من الأمصار التي تشابه المدينة ـ حاضرة الإسلام ـ في مثل ظروفها ورصيدها من الجو النفسي والأخلاقي والإجتماعي .

وحيثما دققت النظر،استبان لك معنى جديد من معاني الترتيب ، فما يصح في منطق القول أن نحدد مرادات الله سبحانه وتعالى ، وهو المطلق على الإطلاق ، والمحيط بالعقول والأفهام والمواهب .

وقد استثمر الكثير من الملاحدة والمتطرفين مسألة ترتيب القرآن في المصحف،وعمدوا بذلك إلى القول باختلاف مصاحف بعض الصحابة في ترتيبها ، وقد صدع شعبهم الحق الأبلج ، وأبطل أقوالهم وأفسد دعواهم ، وقد كان للإمام السيوطي دورٌ عظيمٌ ،في دحض هذه الافتراءات نوجزها فيما يلي بتصرف :

قال تعالى في سورة البقرة [ ٢ / ٢١ ] : ﴿ يأيها الناس اعبدوا

(١) القلم ( ٦٨ / ٨ ـ ١٥ )

(٢) هود ( ١١ / ٣ )

ربكم ﴾ فالعبادة هنا معناها : التوحيد ، وهذا ما يلزم المسلم أن يعرفه حتماً بادىء ذي بدء .

ثم يؤكد هذا المعنى بالسورة نفسها في قوله تعالى :

﴿ **ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم** ﴾ .

وهو علم الكمال بالحق سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته .

وهذه الآية،بمعانيها الواضحة في أول سور المصحف مع أنها مدنية وليست مكية،دليلٌ جليٌ وبرهانٌ واضحٌ على أن هذا الترتيب توقيفي من الوحي . ثم يدل على ذلك قوله تعالى في سورة هود : ﴿ **فاتوا بعشر سور مثله** ﴾ . وسورة هود مكية ، أي من البقرة إلى هود وترتيب هود ( الحادية عشرة ) من ثم،فإن آية هود مستقيمة المعنى على ترتيب النزول ، باعتبار أن التحدي واقع على عشر سور من القرآن عامة غير محددة ، بيد أن ترتيب المصحف حدد العشر .

* * *

ومن دلائل الترتيب أيضاً وحكمته وإتقانه قوله تعالى : ﴿ **إلا إبليس أبى وأستكبر** ﴾(١)

والعادة التي جرى عليها القرآن أن يجمل مسائل العقيدة،ثم يفصلها فيما تلاها من آيات وهذا هو الثابت في ترتيب المصحف .

وإباء إبليس كان بياناً للعقيدة بإظهار موانع الإيمان بها فالضد يظهر شأنه الضد ، ثم فصلت بعد ذلك .

ثم أتى في سورة الحجر فبين موضع الإباء بقوله تعالى :

﴿ **إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين** ﴾(٢) .

---

(١) البقرة ( ٢/ ٣٤ ) .

(٢) الحجر ( ١٥ / ٣١) .

ثم يقول في سورة الإسراء : ﴿ قال أأسجد لمن خلقت طيناً ﴾[1] . وهو بيان لعلة الإباء .

ثم يقول في سورة ص : ﴿ إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾[2] . وفيها علة أخرى وهي من علل الإباء وهي الكبر مع تفصيل نتائجها .

قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ ربِ اجعل هذا بلداً آمناً ﴾[3] .

ثم يقول في سورة ابراهيم : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمناً ﴾[4] .

( بلداً ) جاءت منكرة في سورة البقرة ، ثم وردت معرفة في سورة إبراهيم ، لأن دعاءه عليه السلام في البقرة كان قبل بناء الكعبة ، وذلك مشار إليه في قوله تعالى : ﴿ بوادٍ غير ذي زرع ﴾ [ ٢ /٣٧ ] .

فلما بنيت الكعبة ، واستقر الناس حولها جاء الدعاء للمعرفة وهي الحاضرة المعروفة المعالم المحددة .

* * *

قال تعالى أيضاً في سورة البقرة : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾[5] .

ثم قال تعالى في الأنفال : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾[6] .

---

(١) الإسراء ( ١٧ / ٦١ ) .

(٢) ص (٧٤/٣٨ )

(٣) البقرة ( ٢/ ١٢٦ ) .

(٤) إبراهيم ( ١٤ / ١٥ ) .

(٥) البقرة ( ٢/ ١٩٣ ) .

(٦) الأنفال ( ٨ / ٣٩ )

وهـذا النسق إنما جـاء لترتيب القتـال،داخل الجزيرة العربية في الأولى وخارجها في الثانية ،فوردت في الأنفال لفظة ( كله ) .

* * *

ثم يـأتي القرآن الكـريم في مخاطبـة منكريه في سـورة البقرة فيقول : **﴿ وادعوا شهداءكم . . . ﴾**[1] .

ثم يــأتي في سـورة يــونس فيقـول عـز من قـائــل : **﴿ وادعــوا من استطعتم ﴾**[2] .

كذلك في مقام التحدي في سورة هود قال : **﴿ من استطعتم ﴾** .

ثم تــدرج التحـدي شيئـاً فشيئاً مـع الترتيب المصحفي مسـايـراً للمـلابسات حتى سـورة الإسـراء حيث وقـع التحـدي صـراحـة عـلى جميـع القرآن ، فوجه الكلام إلى الثقلين ، الإنس والجن جميعاً ، قال تعالى :

**﴿ قـل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يـأتوا بمثـل هذا القـرآن لا يأتون بمثله * ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾**[3] .

تأمل هذا التدرج في التحدي .

ثم تأمل قـوله تعـالى في سورة النحـل : **﴿ أإله مـع الله ﴾** خمس مرات متـوالية ، وختمت الآيـة الأولى بقولـه : **﴿ بل هم قـوم يعـدلـون ﴾** [ ٦٠ ] والثانية بقوله : **﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾** [ ٦١ ] والثالثة بقولـه : **﴿ قليلاً ما تذكرون ﴾** [ ٦٣ ] والرابعة بقولـه : **﴿ تعالى الله عـما يشركـون ﴾** [ ٦٣ ] والخامسة بقوله : **﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾** [ ٦٤ ] .

---

(١) البقرة ( ٢/ ٢٣ ) .

(٢) يونس ( ١٠ / ٣٨ ) .

(٣) الإسراء ( ١٧ / ٨٨ ) .

كذلك الأمر في ترتيب المسبحات ، فقد شمل القرآن الكريم كلمة « التسبيح » ، من جميع اشتقاقاتها وجهاتها على ترتيب بديع وتنسيق رائع .

ومما يلفت النظر استعمال كلمة سبحان على صورة المصدر في الإسراء ، وهو أصل المشتقات ، ثم استعملت على صورة الفعل الماضي في الحديد والحشر والصف ، والماضي هو أسبق الزمانين ، ثم استعملت بالفعل المضارع في سورتي الجمعة والتغابن ، ثم جاء أخيراً بفعل الأمر في سورة الأعلى .

فسبحان الله تعالى عما يشركون ، تعالت قدرته وجل ذكره ، ولكن الذين كفروا بربهم يعدلون .

# ترجمة الإمام جلال الدين السيوطي

## [ ٨٤٩ ـ ٩١١ هـ ]

## [ ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ م ]

هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي ، جلال الدين ،إمام ومؤرخ وحافظ اديب تربو مصنفاته على ستمائة مجلد،من الأسفار الكبيرة إلى الرسائل الصغيرة ، قد انفرد بمصنفات قيمة غير مسبوق فيها . نشأ في القاهرة يتيماً ، مات أبوه وعمره خمس سنوات ، فلما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، وخلا بنفسه في روضة المقياس ، على النيل منزوياً عن أصحابه جميعاً متنكراً لهم ، من ثم كانت الفرصة مواتية لإخراج هذا الرصيد الضخم من المصنفات[١] .

وقيل إن الأغنياء كانوا يقدمون إليه الهدايا والهبات ،فكان يردها عليهم .

وخير ترجمة لهذا الإمام الأمة ما قاله عن نفسه في « حسن المحاضرة » كتابه القيم إذ قال :

« وكان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد ، مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وحُملت في حياة أبي إلى الشيخ محمد المجذوب ، رجل

(١) راجع ترجمة السيوطي رحمه الله في الكواكب السائرة ( ١/ ٢٦٦ ) وشذرات الذهب ( ٨ / ٥١ ) وآداب اللغة ( ٣/ ٢٢٨ ) وابن إياس ( ٤/ ٨٣ ) وخزائن الكتب ( ٣٧ ) والضوء اللامع ( ٤/ ٦٥ ) وحسن المحاضرة ( ١/ ١٨٨ ) ، ومعجم المطبوعات ( ١٠٧٣ ) ومخطوطات الظاهرية ( ٣٥٥ ) والخزانة التيمورية ( ٣/ ١٥١ )

من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسي[1] فبارك عليَّ » .

ثم يقول بعد ذلك :

« ونشأت يتيماً ، فحفظت القرآن ولي دون ثماني سنين ، ثم حفظت العمدة ، ومنهاج الفقه ، والأصول وألفية ابن مالك ، وشرعت في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة اربع وستين ، فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ ، وأخذت الفرائض عن العلامة فرضي زمانه الشيخ شهاب الدين الشارمساحي[2] الذي كان يقال أنه بلغ السن العالية ، وجاوز المائة بكثير ، والله أعلم بذلك ، قرأت عليه شرحه على المجموع ، وأجزت بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين وثمانمائة » .

ثم يسترسل في الحديث عن نفسه فيقول :

« ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ؛ على طريقة العرب البلغاء ، لا على طريقة العجم ، وأهل الفلسفة ، ودون هذه السبعة في المعرفة : أصول الفقه ، والجدل والتصريف ، ودونها الإنشاء والترسل والفرائض ، ودونها القراءات ، ولم آخذها عن شيخ ،ودونها الطب » أ هـ .

وقد عدَّ له الأستاذ بروكلمان ٤١٥ مصنفاً بين مطبوع ومخطوط ، والعلامة فلوجل ٥٦٠ مصنفاً ، وذكر له الأستاذ السخاوي نحو ٥٧٦ مصنفاً[3] .

---

(١) مشهد السيدة نفيسة المعروف بالقاهرة

(٢) نسبة الى شارمساح ، وهي قرية قريبة من دمياط .

(٣) وقد كان السخاوي عدواً لدوداً للسيوطي ، والسخاوي مؤرخ كبير وعالم ثبت جليل إلا أنه كان معاصراً للسيوطي وكان بينهما من المنافسة والعداوة والخصومة ما هو قائم بين علماء كل عصر ومصر ، وقد حمل على السيوطي حملاً عنيفاً اتهمه فيه بأنه اختلس كثيراً من مؤلفاته إبان تردده عليه وذكر أسماء كتب معروفة للسيوطي ، واتهمه بأنه غير فيها يسيراً بالتقديم والتأخير ونسبها لنفسه ، ولكني أعتقد أن في قول السخاوي مبالغة ومجافاة للواقع والمنطق لأنه =

وقد ظل السيوطي طول عمره مشتغلاً بالتدريس والفتيا متفرغاً للعلم والتأليف ، وإبان اعتزاله في منيل الروضة بالقاهرة هجر التدريس والفتيا وألَّف كتابه « النفيس في الإعتذار عن الفتيا والتدريس » .

وقد التقى الشعراني بالسيوطي مرة واحدة قبيل وفاته .

وقد مات رضي الله عنه ، في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادي الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، وكان مرضه سبعة أيام،بورم شديد في ذراعه الأيسر .

وقد مات عن إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وكان له مشهد عظيم ، ثم دُفن بحوش قوصون خارج باب القرافة ، وقبره ظاهر وعليه قبة .

وهذا الرجل العملاق،الذي قطع عمره كله في البحث والتأليف والتصنيف،لا يمكن أن يقلل من شأنه حاقد أو حسود مصدور موغور الباطن ، فمؤلفات السيوطي القيمة التي تأخذ بمجامع القلوب إنما تدل وتنم عن مقدرة وكفاءة وسخاء ، وما قيل فيه ليس إلا من قبيل السخيمة والبغضاء .

نسأل الله أن يرحمه رحمة دائمة موصولة،لقاء ما أسدى من معروف يقصر دونه كل فخرٍ وعرفان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

القاهرة في يناير/ كانون الثاني ١٩٨٥ م **السيد الجميلي**

---

=حمل على غير السيوطي ورمى كثيراً من العلماء بالمنكرات وبما لا يليق بكراماتهم ، وقد جرد السيوطي نفسه فيه في رسالة أسماها : « مقام الكاوي على تاريخ السخاوي » نال منه فيها . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥١٠

# بين يدي هذا الكتاب وعملنا فيه

هذا الكتاب إسمه : [ تناسق الدرر في تناسب السور ] .

وقد آثرنا تغييره إلى [ تناسق وترتيب سور القرآن ] كما في واجهة هذه المطبوعة مع الإشارة إلى الإسم الأصلي في داخل النسخة ، فإن ذلك - في نظرنا - أنسب وأقرب للفهم .

ولا يوجد في مصر من هذا الكتاب إلا نسخة واحدة ضمن مجموعة رقم ( ٤١٩ ) تفسير تيمور بدار الكتب المصرية .

وهذا الكتاب مكتوب بخط بين النسخ والفارسي ، ولم يرد ذكر تاريخ النسخ مع بعض الأخطاء اليسيرة ، وتقع في اثنتين وثلاثين ورقة ، ويختلف عدد سطورها ما بين ثمانية وعشرين سطراً ، واثنين وثلاثين سطراً . وأغلب الظن أن هذه النسخة مكتوبة في عصر المؤلف والله أعلم .

وقد قام صديقنا المرحوم الأستاذ عبد القادر عطا بتحقيق هذا الكتاب وأعطاه عنواناً آخر أسماه : ( أسرار ترتيب القرآن ) وقدم له بمقدمة طويلة وأحسب أن هذه هي المطبوعة الأولى لهذا الكتاب القيّم وقد صدرت سنة ١٩٧٦ م . مط . الاعتصام . وقد قمنا بمراجعة النص ،وزيادة على ذلك تخريج الآيات القرآنية ،موضحين رقم السورة وكذلك رقم الآية ، وذكر آراء المفسرين في بعض الأحيان مع الإشارة إلى المرجع ورقم الصفحة والطبعة في أغلب الأحوال . وضبط الأعلام والتعريف بغير المعروف منها ،

وتصحيح بعض الأخطاء والإشارة إلى ذلك .

وقد أفسحنا المجال لكثير من الآراء الشرعية والفقهية من مراجع التفسير الشهيرة ،حتى تتسع دائرة النفع ويسهل استيعاب مادة الكتاب الجامعة للخير والفضل .

وبهذا ، يكون الكتاب قد كمل بناؤه ووافق مسيرة العلم الناهضة .

نسأل الله عموم النفع به ، والإفادة منه كما نوى به مؤلفه رحمه الله .

## بسم الله الرحمن الرحيم

### وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي أنزل كتابه المجيد على أحسن أسلوب ، وبهر بحسن أساليبه وبلاغة تركيبه القلوب ، نزله آيات بينات ، وفصله سوراً وآيات ، ورتبه بحكمته البالغة أحسن ترتيب ، ونظمه أعظم نظام بأفصح لفظ وأبلغ تركيب ، صلى الله على من أنزِل إليه لينذر به وذكرى ، ونزّله على قلبه الشريف فنفى عنه الحرج وشرح له صدراً ، وعلى آله وصحبه مُهَاجِرة ونصراً . وبعد :

فإن الله سبحانه منّ عليَّ بالنظر في مواقع نجومه ، وفتح لي أبواب النظر فيه إلى استخراج ما أودع فيه من علومه ، فلا أزال أسرِّح النظر في بساتينه من نوع إلى نوع ، وَأَسْتَسِنِح[1] الخاطر في ميادينه فيبلغ الغرض ويرجع وهو يقول : لا رَوْع ، فتقت[2] عن أنواع علومه ولقيتها ، وأودعت ما أوعيت منها في دواوين أوعيتها ، ونقبت عن معادن معانيه وأبرزتها ، وأوقدت عليها نار القريحة وميزتها ، وألفت في ذلك جامعاً ومفرداً ، ومطنباً ومقصداً[3] ، ومن خلق لشيء فإلى تيّسره ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره .

---

(۱) استسنح الخاطر : أتأمل به متفحصاً متأملاً .

(۲) فتقت عن أنواع علومه : كشفت عن سرها أماطت اللثام عنها .

(۳) الإطناب : التطويل ، والقصر : الاختصار

وإن مما ألفت في تعلقات القرآن ،كتاب « أسرار التنزيل » الباحث عن أساليبه ، المُبرِز أعاجيبَهَ ، المُهين لفصاحة ألفاظه وبلاغة تراكيبه ، الكاشف عن وجه إعجازه ، الداخل إلى حقيقته عن مجازه ، المُطْلِع على أفانينه ، المبدع في تقرير حججه وبراهينه ، فإنه اشتمل على بضعة عشر نوعاً :

**الأول** : بيان مناسبات ترتيب سوره ، وحكمة وضع كل سورة منها .

**الثاني** : بيان أن كل سورة شارحة لما أُجْمِل في السورة التي قبلها .

**الثالث** : وجه اعتلاق[1] فاتحة الكتاب بخاتمة التي قبلها .

**الرابع** : مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له ، وذلك براعة الاستهلال .

**الخامس** : مناسبة أوائل السور لأواخرها .

**السادس** : مناسبات ترتيب آياته ، واعتلاق[1] بعضها ببعض ، وارتباطها وتلاحمها وتناسقها .

**السابع** : بيان أساليبه في البلاغة ، وتنويع خطاباته وسياقاته[2] .

**الثامن** : بيان ما اشتمل عليه من المحسنات البديعية على كثرتها ، كالاستعارة ، والكناية ، والتعريض ، والالتفات ، والتورية ، والاستخدام ، واللف والنشر ، والطباق ، والمقابلة ، وغير ذلك . والمجاز بأنواعه ، وأنواع الإيجاز والإطناب .

**التاسع** : بيان فواصل الآي ، ومناسبتها للآي التي ختمت بها .

**العاشر** : مناسبة أسماء السور لها .

**الحادي عشر** : بيان وجه اختيار مرادفاته دون سائر المرادفات .

---

(١) اعتلاق : اتصال ، مأخوذة من العَلاَقة .

(٢) سياقاته : جمع مفرده سياق .

**الثاني عشر** : بيان القراءات المختلفة ، مشهورها وشاذها ، وما تضمنته من المعاني والعلوم ، فإن ذلك من جملة وجوه إعجازه .

**الثالث عشر** : بيان وجه تفاوت الآيات المتشابهات في القصص وغيرها بالزيادة والنقص ، والتقديم والتأخير ، وإبدال لفظة مكان أخرى ، ونحو ذلك .

وقد أردت أن أفرد جزءاً في نوع خاص من هذه الأنواع ، هو : مناسبات ترتيب السور ، ليكون عجالة لمريده وبغية لمستفيده ، وأكثره من نتاج فكري ، وولاد نظري ، لقلة من تكلم في ذلك ، أو خاض في هذه المسالك ، وما كان فيه لغيري صرحت بعزوه إليه ، ولا أذكر منه إلا ما استُحْسِن ، ولا انتقاد عليه ، وقد كنت أولاً سميته : « نتائج الفكر في تناسب السور » لكونه من مستنتجات فكري كما أشرت إليه ، ثم عدلت وسميته « تناسق الدرر في تناسب السور » لأنه أنسب بالمسمى ، وأزيد بالجناس .

وبالله تعالى التوفيق ، وإياه اسأل حلاوة التحقيق ، بمنه ويمنه .

***

# تمهيـــد

# في ترتيب السور

اختلف العلماء في ترتيب السور ، هل هو بتوقيف من النبي ﷺ ، أو باجتهاد من الصحابة ، بعد الإجماع على أن ترتيب الآيات توقيفي ، والقطع بذلك .

فذهب جماعة إلى الثاني ، منهم : مالك ، والقاضي أبو بكر في أحد قوليه ، وجزم به ابن فارس .

ومما استدل به لذلك : اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور ، فمنهم من رتبها على النزول ، وهو مصحف علي ، كان أوله « إقرأ »،ثم البواقي على ترتيب نزول المكي ، ثم المدني ، ثم كان أول مصحف ابن مسعود « البقرة » ثم « النساء » ثم « آل عمران » على اختلاف شديد ، وكذا مصحف أُبيّ بن كعب وغيره ، على ما بينته في الإتقان[1] .

وفي المصاحف لابن أشته،بسنده عن عثمان،أنه أمرهم أن يتابعوا الطُّوَل .

وذهب جماعة إلى الأول ، منهم : القاضي أبو بكر[2] في أحد قوليه ،

---

(١) راجع تفسير القرطبي ( ١/ ٥١ ) والإتقان ( ١/٢١٦ ) .

(٢) هو القاضي أبو بكر الباقلاني ، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، من كبار علماء الكلام انتهت اليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة ، وقد ولد في البصرة سنة ٣٣٨ هـ ، وسكن بغداد فتوفي فيها ، وقد كان جيد الاستنباط ، سريع الجواب ، وله كتاب « إعجاز القرآن » وهو قيم جزل في مادته . توفي ببغداد سنة ٤٠٣ هـ .

راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ( ١/ ٤٨١ ) . وقضاة الأندلس ( ٣٧ ـ ٤٠ ) وتاريخ بغداد ( ٥/ ٣٧٩ ) والوافي بالوفيات ( ٣/ ١٧٧ ) .

وخلائق . قال أبو بكر بن الأنباري : أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر ينزل ، والآية جواباً لمستخبر ، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، كان عن النبي ﷺ ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن(١) .

وقال الكرماني في البرهان : ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ ، وهو على هذا الترتيب ، وكان يعرض النبي ﷺ على جبريل ما اجتمع لديه منه ، وعرضه ﷺ في السنة التي توفي فيها مرتين(٢) . وكذا قال الطيبي .

وقال ابن الحصار(٣) : [ ترتيب السور ](٤) ، ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي .

وقال البيهقي في المدخل : كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتباً

---

(١) راجع القرطبي ( ١/ ٦٠ ) والإتقان للسيوطي ( ١/ ٢١٧ ) .

(٢) الكرماني ، هو محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدين الكرماني ، ويعرف بتاج القراء ، وهو عالم بالقراءات ، وقد نقل في التفسير آراء مستنكرة ، في معرض التحذير منها ، وكان الأولى إهمالها ، أثنى عليه الجزري وذكر بعض كتبه ، وله كتاب « العجائب والغرائب » . في مجلدين ، ضمنه أقوالاً في معاني بعض الآيات ، قال السيوطي في الإتقان : « ولا يحل الاعتماد عليها ، ولا ذكرها إلا للتحذير منها » وتوفي نحو سنة ٥٠٥ هـ .

راجع غاية النهاية ( ٢/ ٢٩١ ) والإتقان ( ٢/ ٢٢١ ) وكشف الظنون ( ١٣١ و١٥٦٢ ) .

(٣) ابن الحصَّار ، هو : علي بن محمد بن محمد بن ابراهيم بن موسى الخزرجي ، أبو الحسن ، الحصار فقيه إشبيلي الأصل ، منشأه بفاس ، سمع بها وبغيرها وبمصر ، وجاور بمكة وتوفي بالمدينة ، وله كتب في أصول الفقه والناسخ والمنسوخ ، سمع منه الحافظ المنذري وتوفي رحمه الله سنة ٦١١ هـ . راجع جذوة الاقتباس ( ٢٩٨ ) والتكملة لابن الآبار ( ٦٨٦ ) والاعلام لخير الدين الزركلي ( ٥/ ١٥١ ) .

(٤) ما بين الحاصرين المعقوفين مزيد من الإتقان ( ١/ ٢١٦ ) .

سوره وآياته على هذا الترتيب ، إلا الأنفال وبراءة للحديث الآتي فيهما .

ومال ابن عطية إلى أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياته ، ﷺ كالسبع الطوال : وَالحواميم ، والمفصل ، وان ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده .

وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية ، ويبقى منها القليل يمكن أن يجري فيه الخلاف ، لقوله ﷺ : « إقرأوا الزهراوين :البقرة وآل عمران » . رواه مسلم(١) . وكحديث سعيد بن خالد أنه ﷺ صلى بالسبع الطوال في ركعة ، وأنه كان يجمع المفصل في ركعة . أخرجه ابن أبي شيبة(٢) . وأنه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قرأ : قل هو الله أحد ، والمعوذتين . أخرجه البخاري(٣) وفيه عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : « إنهن من العِتَاق الأول ، وهنَّ من تلادي »(٤)

وقال أبو جعفر النحاس : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ ، لحديث : « أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفُضِّلت بالمفصَّل » . أخرجه أحمد وغيره . قال : فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ ، وأنه من هذا الوقت هكذا .

وقال الحافظ ابن حجر(٥) : ترتيب معظم السور توقيفي ، لحديث

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم ( ٢/ ٩١٣ ) وأبو داوود ( ١/ ٨٨ ، ٨٩ ) مختصراً .

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٧ / ١٦٢ ) فراجعه إن شئت .

(٣) راجع صحيح البخاري ( ٦ / ٢٣٣ ) في تفسير القرآن .

(٤) البخاري ( ٦/ ١٨٩ ) .

(٥) هو الحافظ ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد الكناني ، أبو الفضل شهاب الدين ، من أئمة العلم والتاريخ أصله فلسطيني من عسقلان ، ولد في القاهرة سنة ٧٧٣ هـ ثم أولع بالأدب والشعر واهتم بالحديث ؛ فكان حافظ الإسلام في عصره؛ توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ . راجع خطط مبارك ( ٦ /٣٧ ) وآداب اللغة ( ٣/ ١٦٥ ) والضوء اللامع ( ٣٦/٢ ) . ودائرة المعارف الإسلامية ( ١/ ١٣١ ) .

أحمد وأبي داوودعن أوس الثقفي قال : كنت في وفد ثقيف ، فقال رسول الله ﷺ : « طرأ عليَّ حزبي من القرآن ، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه » . قال أوس : فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : نحزِّبه ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة سورة ، وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل ، من « ق » حتى نختم[1] .

قال : فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو عليه في المصحف الآن كان على عهد النبي ﷺ .

وقال بعضهم : لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر من حكيم .

**الأول** : بحسب الحروف ، كما في الحواميم ، وذوات ( الر ) .

**الثاني** : لموافقة آخر السورة لأول ما بعدها . كآخر الحمد في المعنى . وأول البقرة .

**الثالث** : الوزن في اللفظة . كآخر ( تبت ) وأول ( الإخلاص ) .

**الرابع** : لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى ، كالضحى وألم نشرح .

وقال بعضهم : إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها ، ثم يخفى تارة ، ويظهر أخرى .

وأخرج ابن أبي شيبة عن ربيعة ، إنه سُئل : لِمَ قدمت البقرة وآل عمران ، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة ، وإنما نزلتا بالمدينة ؟ فقال : قُدمتا وأُلِّفَ القرآن على علم ممن ألّفه . وقد اجتمعوا على علمهم بذلك . فهذا مما ينتهى إليه . ولا يُسْأل عنه[2]

---

(١) أخرجه أبوداوود( ١ / ١٤٠ ) والحديث أخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده ( ٥/ ٤٣ ) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ١ / ٥٢ ) .

فإن قلت : فما عندك في ذلك ؟

قلت : الذي عندي أولاً : تحديد محل الخلاف ، وأنه خاص بترتيب سور الأقسام الأربعة ، وأما نفس الأقسام الأربعة ، من تقديم الطوال ، ثم المئين ، ثم المثاني ، ثم المفصل ، فهذا ينبغي أن يقطع بأنه توقيفي ، وأن يدعى فيه الإجماع ، وإن لم أر من سبقني إلى ذلك . وإنما دعاني إلى هذا أمران :

**أحدهما** : ما تقدم من الأحاديث قريباً ، وحديث ابن عباس الآتي في الأنفال .

**والثاني** : أن المصاحف التي وقع فيها الإختلاف في الترتيب اتفقت على ذلك ، فإن مصحف أُبي بن كعب وابن مسعود كلاهما قدم فيه الطوال ، ثم المثاني ، ثم المفصل ، كمصحف عثمان ، وإنما اختلفا في ترتيب سور كل قسم كما بينت في الإتقان[1] .

فإذا تحرر ذلك ، ونظرنا إلى محل الخلاف ، فالمختار عندي في ذلك : ما قاله البيهقي ، وهو : أن ترتيب كل السور توقيفي ، سوى الأنفال وبراءة .

ومما يدل على ذلك ويؤيده : توالي الحواميم ، وذوات ( الر ) ، والفصل بين المسبحات ، وتقديم ( طس ) على القصص ، مفصولاً بها بين النظيرتين [ طسم الشعراء ، وطسم القصص ] في المطلع والطول ، وكذا الفصل بين الإنفطار والإنشقاق بالمطففين ، وهما نظيرتان في المطلع والمقصد ، وهما أطول منها ، فلولا أنه توقيفي لحكمة ، لتوالت المسبحات وأخرت ( طس ) عن القصص ، وأخرت ( المطففين ) أو قدمت ، ولم يفصل بين ( الر ) و ( الر ) .

---

(١) راجع الاتقان ( ١ / ٢٢٢ ـ ٢٢٤ ) .

وليس هنا شيء أعارض به سوى اختلاف مصحف أُبي وابن مسعود ، ولو كان توقيفياً لم يقع فيهما اختلاف ، كما لم يقع في [ ترتيب ] الآيات .

وقد منّ الله عليَّ بجواب لذلك نفيس ، وهو : أن القرآن وقع فيه النسخ كثيراً للرسم ، حتى لسور كاملة ، وآيات كثيرة ، فلا بدع أن يكون الترتيب العثماني هو الذي استقر في العرضة الأخيرة ، كالقراءات التي في مصحفه ، ولم يبلغ ذلك أُبياً وابن مسعود ، كما لم يبلغهما نسخ ما وضعاه في مصاحفهما من القراءات التي تخالف المصحف العثماني ، ولذلك كتب أُبي في مصحفه سورة الحفد ،والخلع ، وهما منسوختان[1] .

فالحاصل أني أقول : ترتيب كل المصاحف بتوقيف ، واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على القراءات العثمانية ، ورتب أولئك على ما كان عندهم ، ولم يبلغهم ما استقر ، كما كتبوا القراءات المنسوخة المثبتة في مصاحفهم بتوقيف ، واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على القراءات المنسوخات ، ولم يبلغهم النسخ .

* * *

(١) يقول محقق المطبوعة : ـ ورد في الاتقان ( ١/ ٢٢٣ ، ٢٢٦ ) عن ابن اشتة في المصاحف وهما سورتا القنوت في الوتر ، قال الحسين بن المنادي في كتابه « الناسخ المنسوخ : ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه ، سورتا القنوت في الوتر ، تسمى بسورتي الخلع والحفد ، الاتقان ( ٣/ ٨٥ ) وهي : « اللهم إنا نستعينك ،ونستغفرك ، ونثني عليك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق » وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ( ٩ / ١٢٠ ) . أ هـ . من حاشية المطبوعة ( ٧٣ ) .

# « سورة الفاتحة »

إفتتح سبحانه كتابه بهذه السورة ، لأنها جمعت مقاصد القرآن ، لذلك كان من أسمائها : أم القرآن ، وأم الكتاب ، والأساس[1] . فصارت كالعنوان وبراعة الإستهلال .

قال الحسن البصري : إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ، ثم أودع علوم القرآن في المفصل ، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة . فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان .

وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشري ، باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله ، وعلى التعبد ، والأمر والنهي ، وعلى الوعد والوعيد ، وآيات القرآن لا تخرج عن هذه الأمور .

قال الإمام فخر الدين : المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة : الإلهيات ، والمعاد ، والنبوات ، وإثبات القضاء والقدر . فقوله : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ يدل على الإلهيات ، وقوله : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ يدل على نفي الجبر ، وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره . وقوله : ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم** ﴾ إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله ، وعلى النبوات ، فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة ، التي هي المقصد الأعظم من القرآن[2] .

---

(١) الاتقان ( ١/ ١٨٩ - ١٩١ ) .

(٢) التفسير الكبير ( ١/ ٦٥ ) .

وقال البيضاوي[1] : هي مشتملة على الحكم النظرية ، والأحكام العملية ، التي هي سلوك الصراط المستقيم ، والاطلاع على مراتب السعداء ، ومنازل الأشقياء .

وقال الطيبي : هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين :

**أحدها** : علم الأصول ، ومعاقدة معرفة الله عز وجل وصفاته ، وإليها الإشارة بقوله : ﴿ **رب العالمين * الرحمن الرحيم** ﴾ . ومعرفة المعاد ، وهو المومأ إليه[2] بقوله : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ .

**وثانيها** : علم ما يحصل به الكمال ، وهو علم الأخلاق ، وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية ، والإلتجاء إلى جناب الفردانية ، والسلوك لطريقة الاستقامة فيها ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ **أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ .

قال : وجميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة ، فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلاً ، فإنها واقعة في مطلع التنزيل ، والبلاغة فيه : أن تتضمن ما سيق الكلام لأجله ، ولهذا لا ينبغي أن يقيد شيء من كلماتها ما أمكن الحمل على الإطلاق[3] .

---

(١) البيضاوي ( ١/ ٣٥ ) .

(٢) المومأ اليه : المشار اليه .

(٣) الطيبي هو الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي ، من علماء الحديث والتفسير والبيان ، أنفق كل ما ورثه في وجوه الخير ، حتى افتقر آخر عمره ، وكان عنيفاً على المبتدعين ، شديد الخشية والإخبات لله سبحانه وتعالى توفي سنة ٧٤٣ هـ .

راجع كشف الظنون ( ١/ ٧٢٠ ) والبدر الطالع ( ١/ ٢٢٩ ) والدرر الكامنة ( ٢/ ٦٨ ) .

وقال الغزالي[1] في « خواص القرآن »[2] : مقاصد القرآن ستة ، ثلاثة مهمة ، وثلاثة تتمة .

**الأولى** : تعريف المدعو اليه ، كما أُشير إليه بصدرها ، وتعريف الصراط المستقيم ، وقد صرح به فيها ، وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى ، وهو الآخرة ، كما أُشير إليه بقوله : ﴿ **ما لك يوم الدين** ﴾ .

**والأخرى** : تعريف أحوال المطيعين ، كما أشار اليه بقوله : ﴿ **الذين أنعمت عليهم** ﴾ . وتعريف منازل الطريق ، كما أُشير إليه بقوله : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾

(١) الغزالي هو الإمام الحجة محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، حجة الإسلام ، فيلسوف متصوف ، له نحو مائتي مصنف ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي سنة ٥٠٥ هـ ، ومن أهم كتبه : ( إحياء علوم الدين ) . راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ( ١/ ٤٦٣ ) . وطبقات الشافعية ( ٤/ ١٠١ ) وشذرات الذهب ( ٤/ ١٠ ) والوافي بالوفيات ( ١/ ٢٧٧ ) .

(٢) خواص القرآن الكريم للغزالي ص ٣٧ .

# سورة البقرة

قال بعض الأئمة : تضمنت سورة الفاتحة : الإقرار بالربوبية ، والالتجاء إليها في دين الإسلام ، والصيانة عن دين اليهود والنصارى ، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين ، وآل عمران مكملة لمقصودها .

فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ، ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى .

فأوجب الحج في آل عمران ، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع ، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه[1] . وكان خطاب النصارى في آل عمران ، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر ، لأن التوراة أصل ، والإنجيل فرع لها ، والنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم ، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ، ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء ، فخوطب به جميع الناس ، والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين ، فخوطبوا بـ : يا أهل الكتاب ، يا بني اسرائيل ، يا أيها الذين آمنوا .

وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس ، وهي

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ، فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ﴾ [ البقرة ٢/ ١٩٦ ] راجع الطبري ، ( ٤/ ٢٢ ) وأنظر معنى الإحصار عند العلماء ، واختلافهم في المانع في تفسير القرطبي ( ٢/ ٣٧١ ، ٣٧٢ ) والبحر المحيط ( ٢/ ٦٠ ) .

نوعان : مخلوقة لله ، ومقدورة لهم ، كالنسب والصهر ، ولهذا افتتحت بقوله : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** ﴾[1] . وقال : ﴿ **فاتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** ﴾ ، فانظر إلى هذه المناسبة العجيبة ، والافتتاح ، وبراعة الاستهلال ، حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما في أكثر السورة من أحكام : من نكاح النساء ومحرماته ، والمواريث المتعلقة بالأرحام ، وأن ابتداء هذا الأمر بخلق آدم ، ثم خلق زوجته منه ، ثم بث منهما رجالاً كثيراً ونساء في غاية الكثرة .

أما المائدة فسورة العقود ، تضمنت بيان تمام الشرائع ، ومكملات الدين ، والوفاء بعهود الرسل ، وما أُخذ على الأمة ، ونهاية الدين ، فهي سورة التكميل ، لأن فيها تحريم الصيد على المحرم ، الذي هو من تمام الإحرام . وتحريم الخمر ، الذي هو من تمام حفظ العقل والدين . وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين ، الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال ، وإحلال الطيبات ، الذي هو من تمام عبادة الله ، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ ، والتيمم ، والحكم بالقرآن على كل ذي دين . ولهذا كثر فيها لفظ الإكمال والإتمام[2] . وذكر فيها : أن من ارتد عوض الله بخير منه ، ولا يزال هذا الدين كاملاً ، ولهذا ورد أنها آخر ما نزل[3] لما فيها من إرشادات الختم والتمام . وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب : انتهى .

وقال بعضهم : افتتحت البقرة بقوله : ﴿ **ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه** ﴾ فإنه إشارة إلى الصراط المستقيم في قوله [ في الفاتحة ] : ﴿ **إهدنا**

---

(١) النساء ٤ / ١ ) راجع الطبري ( ٧ / ٥٢٣ ) والقرطبي ( ٥/ ٢ ) البحر المحيط ( ٣/ ١٥٧ ) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ .

(٣) الحديث صحيح على شرط الشيخين ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن معاوية بن صالح عن عائشة ( ٦ / ١٨٨ ) .

الصراط المستقيم ﴾ . فإنهم لما سألوا [ الله ] الهداية الى الصراط المستقيم قيل لهم : ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية اليه ، كما أخرج ابن جرير وغيره من حديث علي مرفوعاً : « الصراط المستقيم كتاب الله »[1] . وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود موقوفاً .

وهذا معنى حسن يظهر فيه سر ارتباط البقرة بالفاتحة .

وقال الخويي[2] : أوائل هذه السورة مناسبة لأواخر سورة الفاتحة ، لأن الله تعالى لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى ، قال : قد أعطيتكم ما طلبتم : هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه ، وقد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسؤول .

ثم إنه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة : فذكر الذين على هدى من ربهم ، وهم المنعم عليهم . والذين اشتروا الضلالة بالهدى ، وهم الضالون : والذين باءوا بغضب من الله ، وهم المغضوب عليهم[3] . انتهى .

أقول : قد ظهرت لي بحمد الله وجوه من هذه المناسبات :

**أحدها** : أن القاعدة التي استقر بها القرآن : أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها ، وشرح له، وإطناب لإيجازه . وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن ، طويلها وقصيرها . وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة .

فقوله : ﴿ **الحمد لله** ﴾ . تفصيله : ما وقع فيها من الأمر بالذكر في

---

(١) أخرجه ابن جرير عن علي من حديث حمزة الزيات . أ هـ . من المطبوعة .

(٢) هو أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر أبو العباس ، توفي سنة ٦٢٧ هـ . .

(٣) وذكر السيوطي في الاتقان ( ٢/ ٧ ، ١٢ ) و ( ٣/ ٢٩ ) و ( ٤/ ١٤٤ ) أن له تفسيراً للقرآن ، لكن لا أعرف عنه شيئاً ، وقد سألت كثيراً من أصدقائي من العلماء فلم يعرفوا هم أيضاً ذلك .

عدة آيات ومن الدعاء في قوله : ﴿ أُجيب دعوة الداع إذا دعانِ ﴾[1] [ ١٨٦ ] الآية . وفي قوله : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [ ٢٨٦ ] . وبالشكر في قوله : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ [ ١٥٢ ] .

وقوله : ﴿ رب العالمين ﴾ تفصيله قوله : ﴿ اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ [ ٢١ ، ٢٢ ] . وقوله : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [ ٢٩ ] . ولذلك افتتحها بقصة خلق آدم الذي هو مبدأ البشر[2] ، وهو أشرف الأنواع من العالمين ، وذلك شرح لإجمال ﴿ رب العالمين ﴾ .

وقوله : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ . قد أومأ إليه بقوله في قصة آدم : ﴿ فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ [ ٥٤ ] . وفي قصة إبراهيم لما سأل الرزق للمؤمنين خاصة [ بقوله: ﴿ وارزق أهله من الثمرات من آمن ﴾ [ ١٢٦ ] ] . فقال ﴿ ومن كفر فأمتعه قليلاً ﴾ [ ١٢٦ ] .

وذلك لكونه رحماناً . وما وقع في قصة بني اسرائيل : ﴿ ثم عفونا عنكم ﴾ [ ٥٢ ] . إلى أن أعاد الآية بجملتها في قوله : ﴿ لا إله هو الرحمن الرحيم ﴾ [ ١٦٣ ] . وذكر آية الدين[3] إرشاداً للطالبين من العباد ، ورحمة بهم . ووضع عنهم الخطأ والنسيان والإصر وما لا طاقة لهم

(١) البقرة ( ٢/ ١٨٦ ) راجع تأويل مشكل القرآن ص ١٧٧، وتفسير غريب القرآن ص٧٤

(٢) راجع جامع البيان للطبري ( ٦ / ١٣٧ ) ومجاز القرآن ص ٨٤ .

(٣) وهي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾ راجع القرطبي ( ٣/ ٣٨٨ ) .

به ، وختم بقوله : ﴿ واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ﴾ [ ٢٨٦ ] . وذلك شرح قوله : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ .

وقوله : ﴿ مالك يوم الدين ﴾(١) . تفصيله : ما وقع من ذكر يوم القيامة في عدة مواضع ، ومنها قوله : ﴿ إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [ ٢٨٤ ] . والدين [ في الفاتحة ] : الحساب [ في البقرة ]

وقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ مجمل شامل لجميع أنواع الشريعة الفروعية ، وقد فصلت في البقرة أبلغ تفصيل ، فذكر فيها : الطهارة ، والحيض ، والصلاة ، والاستقبال ، وطهارة المكان ، والجماعة ، وصلاة الخوف ، وصلاة الجمع ، والعيد ، والزكاة بأنواعها، كالنبات ، والمعادن ، والاعتكاف ، والصوم وأنواع الصدقات ، والبر ، والحج ، والعمرة ، والبيع ، والإجارة ، والميراث ، والوصية ، والوديعة ، والنكاح ، والصداق ، والطلاق ، والخلع ، والرجعة ، والإيلاء ، والعدة ، والرضاع ، والنفقات ، والقصاص ، والديات ، وقتال البغاة والردة ، والأشربة ، والجهاد ، والأطعمة والذبائح ، والأيمان ، والنذور ، والقضاء ، والشهادات ، والعتق .

فهذه أبواب الشريعة كلها مذكورة في هذه السورة .

وقوله : ﴿ وإياك نستعين ﴾ . شامل لعلم الأخلاق . وقد ذكر منها في هذه السورة الجم الغفير ، من التوبة ، والصبر ، والشكر ، والرضى ، والتفويض ، والذكر ، والمراقبة ، والخوف ، وإلانة القول .

وقوله : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ إلى آخره . تفصيله : ما وقع

(١) ويوم الدين : يوم القيامة ، وسمي بذلك لأنه يوم الجزاء ، ويوم الحساب ، ومنه يقال دنته بما صنع ، أي جازيته ، ويقال في مثل : « كما تدين تدان » يراد به كما تصنع يُصنع بك ، وكما تجازي تُجَازَى . راجع المثل في مجمع الأمثال للميداني ( ٢/ ١٥٥ ) وجمهرة الأمثال ص ١٦٩ .

في السورة من ذكر طريق الأنبياء ، ومن حاد عنهم من النصارى ، ولهذا ذكر في الكعبة أنها قبلة ابراهيم ، فهي من صراط الذين أنعم عليهم ، وقد حاد عنها اليهود والنصارى معاً ، ولذلك قال في قصتها : ﴿ **يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ [ ١٤٢ ] . تنبيهاً على أنها الصراط الذي سألوا الهداية إليه .

ثم ذكر : ﴿ **ولئن أتيت الذين أُوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك** ﴾ [ ١٤٥ ] . وهم المغضوب عليهم والضالون الذين حادوا عن طريقهم . ثم أخبر بهداية الذين آمنوا إلى طريقهم . ثم قال : ﴿ **والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ [ ٢١٣ ] . فكانت هاتان الآيتان تفصيل إجمال ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم** ﴾ إلى آخر السورة .

وأيضاً قوله أول السورة : ﴿ **هدى للمتقين** ﴾ [ ٢ ] إلى آخره في وصف الكتاب ، إخبار بأن الصراط الذي سألوه الهداية إليه هو : ما تضمنه الكتاب ، وإنما يكون هداية لمن اتصف بما ذكر [ من صفات المتقين ] . ثم ذكر أحوال الكفرة ، ثم أحوال المنافقين ، وهم من اليهود ، وذلك تفصيل لمن حاد عن الصراط المستقيم ، ولم يهتد بالكتاب .

وكذلك قوله : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط** ﴾ [ ١٣٦ ] الآية . فيه تفصيل النبيين المنعم عليهم . وقال في آخرها : ﴿ **لا نفرق بين أحد منهم** ﴾ [ ١٣٦ ] . تعريفاً بالمغضوب عليهم والضالين الذين فرقوا بين الأنبياء . ولذلك عقبها بقوله : ﴿ **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا** ﴾ [ ١٣٧ ] . أي : إلى الصراط المستقيم ، صراط المنعم عليهم كما اهتديتم .

فهذا ما ظهر لي ، والله أعلم بأسرار كتابه .

**الوجه الثاني** : أن الحديث والإجماع على تفسير المغضوب عليهم

باليهود ، والضالين بالنصارى[١] ، وقد ذكروا في سورة الفاتحة على حسب ترتيبهم في الزمان ، فعقب بسورة البقرة ، وجميع ما فيها [ من ] خطاب أهل الكتاب لليهود خاصة ، وما وقع فيها من ذكر النصارى لم يقع بذكر الخطاب[٢] .

ثم [ عقبت البقرة ] بسورة آل عمران ، وأكثر ما فيها من خطاب أهل الكتاب للنصارى ، فإن ثمانين آية من أولها نازلة في وفد نصارى نجران ، كما ورد في سبب نزولها[٣] . وختمت بقوله : ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله** ﴾[ ١٩٩ ] . وهي في النجاشي وأصحابه من مؤمني النصارى ، كما ورد به الحديث[٤] . وهذا وجه بديع في ترتيب السورتين ، كأنه لما ذكر في الفاتحة الفريقين ، قص في كل سورة مما بعدها حال كل فريق على الترتيب الواقع فيها ، ولهذا كان صدر سورة النساء في ذكر اليهود ، وآخرها في ذكر النصارى[٥] .

**الوجه الثالث** : أن سورة البقرة أجمع سور القرآن للأحكام والأمثال ، ولهذا سميت في أثر : فسطاط القرآن[٦] . الذي هو : المدينة الجامعة ، فناسب تقديمها على جميع سوره .

(١) راجع تفسير ابن كثير للإمام أبي الفداء اسماعيل بن كثير ( ١/ ٤٦ ) .

(٢) بل جاء على أسلوب الخبر ، مثل قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ [ ٦٢ ] وقوله تعالى : ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى** ﴾ [ ١١١ ] الآية .

(٣) راجع أسباب النزول ص ٦٩ .

(٤) راجع البخاري ( ٢/ ١٠٨ ) ومسلم ( ٣/ ٥٤ ) وما بعدها .

(٥) وذلك قوله في سورة النساء : ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ [ ٤٦ ] والآخر في قوله : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله** ﴾ الآية [ ١٧١ ] .

يقول الإمام الطبري : « يقول : لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه ، ولا تقولوا في عيسى غير الحق » . راجع تفسير « جامع البيان » ( ٩ / ٤١٥ ) .

(٦) أخرجه الإمام الدارمي عن خالد بن معدان ( ٢/ ٤٦٦ ) .

**الوجه الرابع** : أنها أطول سورة في القرآن ، وقد افتتح بالسبع الطوال[1] ، فناسب البداءة بأطولها .

**الوجه الخامس** : أنها أول سورة نزلت بالمدينة ، فناسب البداءة بها ، فإن للأولية نوعاً من الأولوية .

**الوجه السادس** : أن سورة الفاتحة كما ختمت بالدعاء للمؤمنين بألا يسلك بهم طريق المغضوب عليهم ولا الضالين إجمالاً ، ختمت سورة البقرة بالدعاء بألا يسلك بهم طريقهم في المؤاخذة بالخطأ والنسيان ، وحمل الإصر ، وما لا طاقة لهم به تفصيلاً ، وتضمنت آخرها أيضاً الإشارة إلى طريق المغضوب عليهم والضالين بقوله : ﴿ **لا نفرق بين أحد منهم** ﴾ [ ٢٨٥ ] فتآخت السورتان وتشابهتا في المقطع ، وذلك من وجوه المناسبة في التتالي والتناسق . وقد ورد في الحديث التأمين في آخر سورة البقرة كما هو مشروع في آخر الفاتحة[2] ، فهذه ستة وجوه ظهرت لي ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) السبع الطوال : هي : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

(٢) وكان معاذ بن جبل يقول ( آمين ) آخر البقرة كما أخرجه ابن جرير ، راجع تفسير الإمام ابن كثير ( ١/ ٥٠٩ ) .

# سورة آل عمران

قد تقدم ما يؤخذ منه مناسبة وضعها .

قال الإمام : لما كانت هذه السورة قرينة سورة البقرة ، وكالمكملة لها ، افتتحت بتقرير ما افتتحت به تلك ، وصرح في منطوق مطلعها بما طوي في مفهوم تلك (١) .

وأقول : قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات :

**أحدها** : مراعاة القاعدة التي قررتها ، من شرح كل سورة لإجمال ما في السورة قبلها ، وذلك هنا في عدة مواضع .

منها : ما أشار اليه الإمام ، فإن أول البقرة افتتح بوصف الكتاب بأنه لا ريب فيه . وقال في آل عمران : ﴿ **نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه** ﴾ [ ٣ ] : وذاك بسط وإطناب ، لنفي الريب عنه .

ومنها : أنه ذكر في البقرة إنزال الكتاب مجملاً ، وقسمه هنا إلى آيات محكمات ، ومتشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله(٢) .

ومنها : أنه قال في البقرة : ﴿ **وما أُنزل من قبلك** ﴾ [ ٣ ] ، وقال

---

(١) لأن مطلع البقرة وصف المتقين بأنهم الذين يؤمنون بالغيب ، وهو مناسب لما ورد في أول هذه السورة من قوله تعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ [ ٢ ] .

(٢) وذلك في قوله تعالى : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكماتٌ هن أم الكتاب وأُخر متشابهات** ﴾ [ ٧ ] راجع الطبري ( ٦ / ١٩٧ ) .

هنا : ﴿ **وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدي للناس** ﴾ [ ٣ ، ٤ ] مفصلاً . وصرح بذكر الإنجيل هنا ، لأن السورة خطاب للنصارى ، ولم يقع التصريح به في سورة البقرة بطولها ، وإنما صرح فيها بذكر التوراة خاصة ، لأنها خطاب لليهود .

ومنها : أن ذكر القتال وقع في سورة البقرة مجملاً بقوله : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله** ﴾ [ ١٩٠ ، ٢٤٤ ] [ وقوله ] : ﴿ **كتب عليكم القتال** ﴾ [ ٢١٦ ] . وفصلت هنا قصة أُحُد بكمالها[١] .

ومنها : أنه أوجز في البقرة ذكر المقتولين في سبيل الله بقوله : ﴿ **أحياء ولكن لا تشعرون** ﴾ وزاد هنا : ﴿ **عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** ﴾ [ ١٧٠ ] الآيتين . وذلك إطناب عظيم .

ومنها : أنه قال في البقرة : ﴿ **والله يؤتي ملكه من يشاء** ﴾ [٢٤٧ ] . وقال هنا : ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير** ﴾ [ ٢٦ ] . فزاد إطناباً وتفصيلاً .

ومنها : أنه حذر من الربا في البقرة ، ولم يزد على لفظ الربا إيجازاً[٢] . وزاد هنا [ قوله ] : ﴿ **أضعافاً مضاعفة** ﴾ [ ١٣٠ ] . وذلك بيان وبسط .

ومنها : أنه قال في البقرة : ﴿ **وأتموا الحج** ﴾ [ ١٩٦ ] وذلك إنما

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون** ﴾ [ آل عمران ـ ١٥٢ ـ ١٥٨ ] . راجع جامع البيان للطبري ( ٧ / ٣٠٦ ) والدر المنثور ( ١/ ٨٧ ) .

(٢) وذلك في قوله تعالى : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ [ البقرة ٢ / ٢٧٥ ] .

يدل على الوجوب إجمالاً . وفصله هنا بقوله : ﴿ **ولله على الناس حج البيت** ﴾ [ ٩٧ ] وزاد : بيان شرط الوجوب بقوله : ﴿ **من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ [ ٩٧ ] . ثم زاد : تكفير من جحد وجوبه بقوله : ﴿ **ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾ [ ٩٧ ] .

ومنها : أنه قال في البقرة في أهل الكتاب : ﴿ **ثم توليتم إلا قليلاً منكم** ﴾ [ ٨٣ ] . فأجمل القليل ، وفصله هنا بقوله : ﴿ **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** ﴾ [ ١١٣ ] . الآيتين .

ومنها : أنه قال في البقرة : ﴿ **قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون** ﴾ [ ١٩٣ ] . فدل بها على تفضيل هذه الأمة على اليهود تعريضاً لا تصريحاً وكذلك قوله : ﴿ **وكذلك جعلناكم أُمة وسطاً** ﴾ [ ١٤٣ ] . في تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم بلفظ فيه يسير إبهام ، وأتى في هذه بصريح البيان فقال : ﴿ **كنتم خير أُمةٍ أُخرجت للناس** ﴾ [ ١١٠ ] . فقوله : ﴿ **كنتم** ﴾ . أصرح في قدم ذلك من ﴿ **جعلناكم** ﴾ . ثم زاد وجه الخيرية بقوله : ﴿ **تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [ ١١٠ ](١) .

ومنها : أنه قال في البقرة : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام** ﴾ [ ١٨٨ ] . الآية . وبسط الوعيد هنا بقوله : ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة** ﴾ [ ٧٧ ] . الآية ، وصدره بقوله : ﴿ **وإن من أهل الكتاب من**

---

(١) وقد ذكر الحق تبارك وتعالى الصراط المستقيم مجملاً في سورة البقرة بقوله : ﴿ **ذلك الكتاب** ﴾ وسبقها في الفاتحة ، ثم عين طريقة السير عليه في آل عمران في قوله تعالى : ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم** ﴾ [ ١٠١ ] . راجع جامع البيان للطبري ( ٨٤/٧ ) وما بعدها .

إن تـأمنه بقنـطار يؤده إليك ومنهم من إن تـأمنه بـدينار لا يؤده إليـك إلا مـا دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ [ ٧٥ ] .

فهذه عدة مواضع وقعت في البقرة مجملة ، وفي آل عمران تفصيلها .

**الـوجه الثـاني** : أن بين هـذه السورة وسـورة البقرة اتحـاداً ، وتـلاحمـاً متـأكداً ، لمـا تقدم من أن البقـرة بمنزلـة إزالة الشبهـة ، ولهذا تكـرر هنـا مـا يتعلق بـالمقصـود الـذي هـو بيـان حقيقـة الكتـاب : من إنـزال الكتـاب ، وتصـديقـه للكتب قبله ، والهـدي إلى الصـراط المستقيم[1] . وتكـررت هنـا آية : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل ﴾ [ ١٣٦ ] . بكمالها ، ولذلـك أيضاً ذكـر في هذه ما هو تالٍ لما ذكر في تلك ، أو لازم في تلك ، أو لازم له .

فذكر هناك خلق الناس ، وذكـر هنا تصـويرهم في الأرحـام[2] . وذكر هنـاك مبدأ خلق آدم ، وذكـر هنا مبـدأ خلق أولاده[3] . وألطف من ذلـك : أنـه افتتح البقـرة بقصة آدم حيث خلقـه من غير أب ولا أم ، وذكـر في هـذه نظيره في الخلق من غير أب ، وهو عيسى عليـه السلام[4] ، ولـذلك ضـرب لـه المثـل بـآدم ، واختصت البقـرة بـآدم ، لأنها أول السـور ، وآدم أول في الـوجود وسـابق ، ولأنها الأصـل ، وهـذه كـالفـرع والتتمـة لهـا ، فمختصـة بالإعراب [ والبيان ] .

---

(١) لقوله في أول آل عمران : ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بـين يديـه ، وأنـزل التـوراة والإنجيل ، من قبل هدى للناس ، وأنزل الفرقان ﴾ [ ٣ ، ٤ ] .

(٢) في قوله تعـالى : ﴿ هو الـذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ، لا إلـه إلا هو ﴾ [ ٦١ ] . راجع الطبري ( ٦ / ٤٧٤ ) واللسان ( ١٣/ ٧٦ ) .

(٣) وقـد ذكر جـل شأنـه خلق آدم في البقرة في قـوله تعـالى : ﴿ إني جاعـل في الأرض خليفـة ﴾ [ ٣٠ ] . وورد خلق بني آدم في آل عمران لقولـه تعالى : ﴿ وهـو الذي يصـوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ [ ٦ ] .

(٤) وذلـك في قولـه تعالى : ﴿ إن مثـل عيسى عند الله كمثـل آدم خلقه من تـراب ، ثم قـال لـه كن فيكون ﴾ [ ٥٩ ] .

ولأنها خطاب لليهود الذين قالوا في مريم ما قالوا ، وأنكروا وجود ولد بلا أب ، ففوتحوا بقصة آدم ، لتثبت في أذهانهم ، فلا تأتي قصة عيسى إلا وقد ذكر عندهم ما يشبهها من جنسها .

ولأن قصة عيسى قيست على قصة آدم في قوله : ﴿ **كمثل آدم** ﴾ [ ٥٩ ] الآية ، والمقيس عليه لا بد وأن يكون معلوماً ، لتتم الحجة بالقياس ، فكانت قصة آدم والسورة التي هي فيها جديرة بالتقدم .

ومن وجوه تلازم السورتين : أنه قال في البقرة في صفة النار : ﴿ **أُعدت للكافرين** ﴾ [ ٢٤ ] ، ولم يقل في الجنة : أُعدت للمتقين ، مع افتتاحها بذكر المتقين والكافرين معاً ، وقال ذلك في آخر آل عمران في قوله : ﴿ **جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين** ﴾ [ ١٣٣ ] . فكأن السورتين بمنزلة سورة واحدة .

وبذلك يعرف أن تقديم آل عمران على النساء أنسب من تقديم النساء عليها .

وأمر آخر استقرأته ، وهو : أنه إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد ، فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الاتحاد . وفي السورة المستقلة عما بعدها يكون آخر السورة نفسها مناسب لأولها . وآخر آل عمران مناسب لأول البقرة ، فإنها افتتحت بذكر المتقين ، وأنهم المفلحون ، وخُتمت آل عمران بقوله : ﴿ **واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ [ ٢٠٠ ] .

وافتتحت البقرة بقوله : ﴿ **والذين يؤمنون بما أُنزل اليك وما أُنزل من قبلك** ﴾ [ ٤ ] وخُتمت آل عمران بقوله : ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أُنزل اليكم وما أُنزل إليهم** ﴾ [ ١٩٩ ] . فلله الحمد على ما ألهم .

وقد ورد أنه لما نزلت : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً** ﴾

[ ٢ : ٢٤٥ ] . قال اليهود : يا محمد ، افتقر ربك ، فسأل القرض عباده ، فنزل قوله : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ [ ٣ : ١٨١ ] . فذلك أيضاً من تلازم السورتين .

ووقع في البقرة حكاية عن إبراهيم : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك** ﴾ [ ١٢٩ ] الآية . ونزل في هذه : ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم** ﴾ [ ١٦٤ ] . وذلك أيضاً من تلازم السورتين .

# سورة النساء

تقدمت وجوه مناسبتها .

وأقول : هذه السورة أيضاً شارحة لبقية مجملات سورة البقرة .

فمنها : أنه أجمل في البقرة قوله : ﴿ **اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾(١) . [ ١٢١ ] . وزاد هنا : ﴿ **خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾ .

وانظر لما كانت آية التقوى في سورة البقرة غاية ، جعلها في أول هذه السورة التالية لها مبدأ(٢) .

**ومنها** : أنه أجمل في سورة البقرة : ﴿ **أسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ [ ٣٥ ] . وبين هنا أن زوجته خلقت منه في قوله : ﴿ **وخلق منها زوجها** ﴾ [ ١ ] .

**ومنها** : أنه أجمل في البقرة آية اليتامى ، وآية الوصية ، والميراث ، والوارث ، في قوله : ﴿ **وعلى الوارث مثل ذلك** ﴾ [ ٢٣٣ ] . وفصل ذلك في هذه السورة أبلغ تفصيل(٣) .

---

(١) راجع تفسير الآية في الدر المنثور ( ٢/ ١٢٢ ) .

(٢) آية التقوى في البقرة هي ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ [ ٢ ] . وهنا قصر الهداية بالقرآن على المتقين ، وفي سورة النساء أمرٌ بالتقوى في قوله تعالى : ﴿ **اتقوا ربكم** . . . ﴾ الآية [ ١ ] . ووضح وجلىَّ وسائل تحقيقها في ذات الآية .

(٣) في سورة النساء الآيات ( ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ٣٣ ، ١٧٦ ) .

وفصل هنا من الأنكحة ما أجمله هناك ، فإنه قال في البقرة : ﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ﴾ [ ٢٢١ ] فذكر نكاح الأمة إجمالاً ، وفصل هنا شروطه(١) .

ومنها : أنه ذكر الصداق في البقرة مجملاً بقوله : ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً ﴾ [ ٢٢٩ ] . وشرحه هنا مفصلاً(٢) .

ومنها : أنه ذكر هناك بالخلع ، وذكر هنا أسبابه ودواعيه ، من النشوز وما يترتب عليه ، وبعث الحكمين(٣) .

ومنها : أنه فصل هنا من أحكام المجاهدين ، وتفضيلهم درجات ، والهجرة ، ما وقع هناك مجملاً ، أو مرموزاً(٤) .

وفيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة : تفسير : ﴿ الذين أنعمت عليهم ﴾ . بقوله : ﴿ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ [ ٦٩ ] .

وأما وجه اعتلاقها بآل عمران فمن وجوه :

منها : أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى(٥) ، وافتتحت هذه

---

(١) في الآية ٢٥ من النساء .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ [ ٢٠ - ٢١ ] . .

(٣) الآية في البقرة ( ٢٢٩ ) وفي النساء ( ٣٤ ، ٣٥ ) .

(٤) قال تعالى في سورة النساء : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله ﴾ إلى قوله : ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [٩٥ - ٩٩ ] وقال في البقرة : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء ﴾ [ ١٥٤ ] الآية . وقوله : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ [ الآية ٢١٦ ] . وقوله : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله ﴾ الآية [ ٢١٨ ] . من حاشية المطبوعة بتصرف .

(٥) في قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ آخر آل عمران .

السورة به[1] . وهذا من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور ، وهو نوع من البديع يسمى : تشابه الأطراف .

ومنها أن سورة آل عمران ذكر فيها قصة أُحد مستوفاة ، وذكر في هذه السورة ذيلها ، وهو قوله : ﴿ **فما لكم في المنافقين فئتين** ﴾ [٨٨ ] . فإنها نزلت لما اختلف الصحابة فيمن رجع من المنافقين من غزوة أُحد ، كما في الحديث[2] .

**ومنها** : أن في آل عمران ذكرت الغزوة التي بعد أُحد بقوله : ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** ﴾ [ ١٧٢ ][3] . وأُشير إليها هنا بقوله : ﴿ **ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون** ﴾ [ ١٠٤ ] الآية[4] .

وبهذين الوجهين عرف أن تأخير النساء عن آل عمران أنسب من تقديمها عليها في مصحف ابن مسعود ، لأن المذكور هنا ذيل ما في آل عمران ، ولاحقه وتابعه ، فكانت بالتأخير أنسب .

**ومنها** : أنه ذكر في آل عمران قصة خلق عيسى بلا أب ، وأقيمت له الحجة بآدم ، وفي ذلك تبرئة لأمه ، خلافاً لما زعم اليهود ، وتقريراً لعبوديته ، خلافاً لما ادعته النصارى ، وذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معاً : فرد على اليهود بقوله : ﴿ **وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً** ﴾ [ ١٥٦ ] . وعلى النصارى بقوله : ﴿ **لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم**

---

(١) وفي النساء : ﴿ **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** ﴾ أول السورة .

(٢) أخرجه البخاري ( ٦/ ٥٩ ) ومسلم ( ٨ / ١٢٨ ) وانظر البحر المحيط ( ٣/ ٣١١ ) .

(٣) راجع البخاري في صحيحه ( ٥/ ١٣٠ ) .

(٤) وهنا في هذه الآية عموم ، ولكن في سورة ( محمد ) تخصيص لأن ثمة واقعة خاصة في قوله تعالى : ﴿ **ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾ [ محمد - ٣٥ ] .

وروح منـه ﴾ إلى قـولـه : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكـون عبـداً لله ﴾ [ ١٧١ ـ ١٩١ ] .

ومنهـا : أنه لما ذكر في آل عمـران : ﴿ إني متـوفيـك ورافعـك إليّ ﴾ [ ٥٥ ] . رد هنـا عـلى من زعم قتله بقـولـه : ﴿ وقـولهم إنـا قتلنـا المسيـح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبـوه ولكن شبه لهم وإن الـذين اختلفـوا فيـه لفي شـك منـه مـا لهم بـه من علم إلا اتبـاع الـظن ومـا قتلوه يقيناً . بل رفعه الله اليه ﴾ [ ١٥٧ ـ ١٥٨ ] .

ومنهـا : أنه لما قـال في آل عمـران في المتشـابـه : ﴿ والـراسخـون في العلم يقـولـون آمنـا بـه كـل من عنـد ربنـا ﴾ [ ٧ ] . قـال هنـا : ﴿ لكن الراسخون في العلم والمؤمنون يؤمنون بما أُنزل اليك ﴾ [ ١٦٢ ] الآية .

ومنها : أنه لما قال في آل عمـران : ﴿ زين للناس حب الشهـوات من النسـاء والبنـين والقنـاطـير المقنـطرة من الـذهب والفضـة والخيـل المسـومـة والأنعـام والحرث ذلـك متاع الحيـاة الـدنيـا ﴾ [ ١٤ ] الآيـة . فصـل هـذه الأشياء في السورة التي بعـدها عـلى نسق ما وقعت في الآيـة ، ليعلم ما أحـل الله من ذلك فيقتصر عليه ، وما حرم فلا يتعدى إليه ، لميل النفس إليه .

فقد جاء في هذه السورة أحكـام النساء ، ومبـاحاتهـا[1] ، للابتـداء بها في الآيـة السابقـة في آل عمران ، ولم يحتـج إلى تفصيـل البنـين ، لأن تحـريم البنـين لازم ، لا يتـرك منـه شيء كـما يتـرك من النسـاء ، فليس فيهم مبـاح فيحتـاج إلى بيانـه ، ومع ذلـك أُشير اليهم في قـوله : ﴿ وليخش الـذين لـو تـركوا من خلفهم ذريـة ضعـافـاً خـافـوا عليهم فليتقـوا الله وليقـولـوا قـولاً سديداً ﴾ [ ٩ ] .

(١) قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ يا أيها الـذين آمنوا كلوا من طيبـات ما رزقنـاكم ﴾ إجمالاً من غير تفصيل ، ثم قال : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والـدم ولحم الخنزيـر وما أهـل به لغـير الله ، فمن اضـطر غير بـاغٍ ولا عاد فـلا إثم عليه ﴾ [ ١٧٢ ـ ١٧٣ ] . ولكنـه في المائـدة يقـول : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزيـر ﴾ . . . إلى قولـه عز من قـائل : ﴿ وطعـام الذين أوتوا الكتاب حلٌ لكم ، وطعامكم حل لهم ﴾ [ ٣ ـ ٥ ] .

ثم فصل في سورة المائدة أحكام السراق ، وقطاع الطريق ، لتعلقهم بالذهب والفضة الواقعين في الآية بعد النساء والبنين . ووقع في سورة النساء إشارة إلى ذلك في قسمة المواريث .

ثم فصل في سورة الأنعام أمر الحيوان والحرث ، وهو بقية المذكور في آية آل عمران ، فانظر إلى هذه اللطيفة التي منّ الله بإلهامها ! .

ثم ظهر لي أن سورة النساء فصل فيها ذكر البنين أيضاً ، لأنه لما أخبر بحب الناس لهم ، وكان من ذلك إيثارهم على البنات في الميراث ، وتخصيصهم به دونهن ، تولى قسمة المواريث بنفسه ، فقال : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ [ ١١ ] . وقال : ﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب** ﴾ [ ٧ ] . فرد على ما كانوا يصنعون من تخصيص البنين بالميراث ، لحبهم لهم ، فكان ذلك تفصيلاً لما يحل ويحرم من إيثار البنين ، اللازم عن الحب ، وفي ضمن ذلك تفصيل لما يحل للذكر أخذه من الذهب والفضة ، وما يحرم .

ومن الوجوه المناسبة لتقدم آل عمران على النساء : اشتراكها مع البقرة في الافتتاح بانزال الكتاب ، وفي الافتتاح بـ ﴿ **ألم** ﴾ وسائر السور المفتتحة بالحروف المقطعة كلها مقترنة ، كيونس وتواليها ، ومريم وطه ، والطواسين ، و ﴿ **ألم** ﴾ العنكبوت وتواليها ، والحواميم ، وفي ذلك أول دليل على اعتبار المناسبة في الترتيب بأوائل السور .

ولم يفرق بين السورتين من ذلك بما ليس مبدوءاً به سوى بين الأعراف ويونس اجتهاداً لا توقيفاً ، والفصل بالزمر بين ( حم ) غافر و ( ص ) وسيأتي .

ومن الوجوه في ذلك أيضاً : اشتراكها في التسمية بالزهراوين في حديث : « إقرأوا الزهراوين : البقرة وآل عمران » . فكان افتتاح القرآن بهما نظير اختتامه بسورتي الفلق والناس ، والمشتركتين في التسمية بالمعوذتين .

# سورة المائدة

وقد تقدم وجه في مناسبتها :

وأقول : هذه السورة أيضاً شارحة لبقية مجملات سورة البقرة ، فإن آية الأطعمة والذبائح فيها أبسط منها في البقرة[1] . وكذا ما أخرجه الكفار تبعاً لآبائهم في البقرة موجز[1] . وفي هذه السورة مطنب أبلغ إطناب في قوله : ﴿ **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة** ﴾ [ ١٠٣ ، ١٠٤ ] .

وفي البقرة ذكر القصاص في القتلى[2] . وهنا ذكر أول من سن القتل ، والسبب الذي لأجله وقع ، وقال : ﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً** ﴾ [ ٣٢ ] . وذلك أبسط من قوله [ في البقرة ] : ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾ [ ١٧٩ ] .

وفي البقرة : ﴿ **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية** ﴾ [ ٥٨ ]. وذكر في

(١) قال في البقرة ( ٢/ ١٦٨ ) : ﴿ **يا أيها الناس كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ .

(٢) يقول محقق المطبوعة : « من دلائل الترتيب أنه قال : ﴿ **كتب عليكم القصاص في القتلى** ﴾ في البقرة [ ١٧٨ ] ثم زاده بياناً في نفس السورة فقال : ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾ [ ١٧٩ ] ثم قال : ﴿ **والحرمات قصاص** ﴾ [ ١٩٤ ] . ثم ذكر قتل الخطأ والنسيان في النساء فقال : ﴿ **ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة** ﴾ [ ٩٢ ] وزاد تفصيل القصاص فيما ساقه المؤلف في الآية ( ٣٢ ) من المائدة . ثم فصل أحكام القصاص في قوله : ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين ، والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن ، والجروح قصاص** ﴾ [ المائدة ـ ٤٥ ] .

وهذا تدرج بديع يدل على احكام الترتيب والتلاحم . أ هـ .

قصتها هنا : ﴿ **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾ [ ٥٤ ] .

وفي البقرة قصة الأيمان[١] موجزة ، وزاد هنا بسطاً بذكر الكفارة[٢] .

وفي البقرة قال في الخمر والميسر : ﴿ **فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** ﴾ [ ٢١٩ ] . وزاد في هذه السورة ذمهما ، وصرّح بتحريمهما .

وفيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة : بيان المغضوب عليهم والضالين في قوله : ﴿ **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه** ﴾ [ ٦٠ ] . الآية . وقوله : ﴿ **قد ضلوا من قبل وأضلوا عن سواء السبيل** ﴾ [ ٧٧ ] .

وأما اعتلاقها بسورة النساء ، فقد ظهر لي فيه وجه بديع جداً . وذلك أن سورة النساء اشتملت على عدة عقود صريحاً وضمناً ، فالصريح : عقود الأنكحة ، وعقد الصداق ، وعقد الحلف ، في قوله : ﴿ **والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** ﴾ [ ٣٣ ] . وعقده الأيمان في هذه الآية . وبعد ذلك عقد المعاهدة والأمان في قوله : ﴿ **إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق** ﴾ [ ٩٠ ] . وقوله : ﴿ **وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية** ﴾ [ ٩٢ ] .

والضمني : عقد الوصية ، والوديعة ، والوكالة ، والعارية ، والإجارة ، وغير ذلك من الداخل في عموم قوله : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ [ ٥٨ ] . فناسب أن يعقب بسورة مفتتحة

---

(١) لقوله تعالى : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** ﴾ [ ٢ / ٢٢٥ ] .

(٢) وهو قوله تعالى : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين** ﴾ [ ٥ / ٨٩ ] .

بالأمر بالوفاء بالعقود . فكأنه قيل [ في المائدة ]: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾ [ ١ ] التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت . فكان ذلك غاية في التلاحم والتناسب والارتباط .

ووجه آخر في تقديم سورة النساء ، وتأخير سورة المائدة ، وهو : أن تلك أولها : ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ [ ١ ] وفيها الخطاب بذلك في مواضع ، وهو أشبه بخطاب المكي ، وتقديم العام وشبه المكي أنسب .

ثم إن هاتين السورتين [ النساء والمائدة ] في التقديم والاتحاد نظير البقرة وآل عمران ، فتلكما في تقرير الأصول ، من الوحدانية ، والكتاب ، والنبوة ، وهاتان في تقرير الفروع الحكمية .

وقد ختمت المائدة(١) بصفة القدرة ، كما افتتحت النساء بذلك(٢) .

وافتتحت النساء ببدء الخلق ، وخُتمت المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء . فكأنهما سورة واحدة ، اشتملت على الأحكام من المبتدأ إلى المنتهى .

ولما وقع في سورة النساء : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس** ﴾ [ ١٠٥ ] الآيات . فكانت نازلة في قصة سارق درعا(٣) ، فصل في سورة المائدة أحكام السراق والخائنين .

ولما ذكر في سورة النساء أنه أُنزل إليك الكتاب لتحكم بين الناس ، ذكر في سورة المائدة آيات في الحكم بما أنزل الله حتى بين الكفار ، وكرر قوله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله** ﴾ [ ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ] .

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ **لله ملك السموات والأرض وما فيهن ، وهو على كل شيء قدير** ﴾ [ ٥ / ١٢٠ ] .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** ﴾ [ ٤ / ١ ] .

(٣) راجع الحاكم في مستدركه ( ٤/ ٣٨٥ ـ ٣٩٩ ) .

فانظر إلى هذه السور الأربع المدنيات ، وحسن ترتيبها ، وتلاحمها ، وتناسقها ، وتلازمها .

وقد افتتحت بالبقرة التي هي أول ما نزل بالمدينة ، وختمت بالمائدة التي هي آخر ما نزل بها ، كما في حديث الترمذي[1] .

---

(١) راجع الترمذي ( ٨/ ٤٣٦ ، ٤٣٧ ) .

# سورة الأنعام

قال بعضهم : مناسبة هذه السورة لآخر المائدة : أنها افتتحت بالحمد ، وتلك ختمت بفصل القضاء ، وهما متلازمتان كما قال : ﴿ **وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ [ ٣٩ : ٧٥ ] .

وقد ظهر لي بفضل الله مع ما قدمت الإشارة إليه في آية ﴿ **زين للناس** ﴾ . أنه لما ذكر في آخر المائدة : ﴿ **لله ملك السموات والأرض وما فيهن** ﴾ [ ١٢٠ ] . على سبيل الإجمال ، افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله .

فبدأ بذكر : أنه خلق السموات والأرض ، وضم اليه أنه جعل الظلمات والنور ، وهو بعض ما تضمنه قوله : ﴿ **وما فيهن** ﴾ في آخر المائدة . وضمن قوله : ﴿ **الحمد لله** ﴾ [ أول الأنعام ] أن له ملك جميع المحامد ، وهو من بسط : ﴿ **لله ملك السموات والأرض وما فيهن** ﴾ [ في آخر المائدة ] .

ثم ذكر : أنه خلق النوع الإنساني ، وقضى له أجلاً مسمى ، وجعل له أجلاً آخر للبعث ، وأنه منشىء القرون قرناً بعد قرن ، ثم قال : ﴿ **قل لمن ما في السموات والأرض** ﴾ [ ١٢ ] . فأثبت له ملك جميع المنظورات . ثم قال : ﴿ **وله ما سكن في الليل والنهار** ﴾ [ ١٣ ] . فأثبت له ملك جميع المظروفات لظرفي الزمان . ثم ذكر أنه خلق سائر الحيوان ، من الدواب والطير ، ثم خلق النوم واليقظة ، والموت والحياة ، ثم أكثر في أثناء السورة من ذكر الخلق والإنشاء لما فيهن ، من النيرين ، والنجوم ، وفلق

الإصباح ، وخلق الحب والنوى ، وإنزال الماء ، وإخراج النبات والثمار بأنواعها ، وإنشاء جنات معروشات وغير معروشات ، والأنعام ، ومنها حمولة وفرش . وكل ذلك تفصيل لملكه ما فيهن : وهذه مناسبة جليلة .

ثم لما كان المقصود من هذه السورة بيان الخلق والملك ، أكثر فيها من ذكر الرب الذي هو بمعنى المالك والخالق والمنشىء ، واقتصر فيها على ما يتعلق بذلك من بدء الخلق الإنساني والملكوتي ، والملكي والشيطاني ، والحيواني والنباتي ، وما تضمنته من الوصايا ، فكلها متعلق بالقوام والمعاش الدنيوي ، ثم أشار إلى أشراط الساعة .

فقد جمعت هذه السورة جميع المخلوقات بأسرها ، وما يتعلق بها ، وما يرجع اليها ،فظهرتبذلك مناسبة افتتاح السور المكية بها[1] ، وتقديمها على ما تقدم نزوله منها .

وهي في جمعها الأصول والعلوم والمصالح الدنيوية نظير سورة البقرة في جمعها العلوم والمصالح الدينية . وما ذكر فيها من العبادات المحضة ، فعلى سبيل الإيجاز والإيماء ، كنظير ما وقع في البقرة من علوم بدء الخلق ونحوه ، فإنه على سبيل الاختصار والإشارة .

فإن قلت : فلم لا أفتتح القرآن بهذه السورة ، مقدَّمة على سورة البقرة ، لأن بدء الخلق مقدَّم على الأحكام والتعبُّدات ؟

قلت : للإشارة إلى أن مصالح الدين والآخرة مقدمة على مصالح المعاش والدنيا ، وأن المقصود إنما هو العبادة ، فقدم ما هو الأهم في نظر الشرع[2] ، ولأن علم بدء الخلق كالفَضْلَة ، وعلوم الأحكام والتكاليف متعين على كل واحد . فلذلك لا ينبغي النظر في علم بدء الخلق وما جرى مجراه من التواريخ إلا بعد النظر في علم الأحكام وإتقانه .

---

(١) راجع صفوة التفاسير للصابوني ( ٧ / ٣٦٢ ) والإتقان للسيوطي ( ١ / ٤٢ ) .

(٢) وذلك لأن الأمور بمقاصدها ونهاياتها منوطة .

ثم ظهر لي بحمد الله وجه آخر ، أتقن مما تقدم . وهو : أنه لما ذكر في سورة المائدة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا** ﴾ [ ٨٧ ] إلى آخره ، فأخبر عن الكفار أنهم حرموا أشياء مما رزقهم الله افتراء عليه ، وكان القصد بذلك تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئاً مما أحل الله ، فيشابهوا بذلك الكفار في صنيعهم وكان ذكر ذلك على سبيل الإيجاز ، ساق هذه السورة لبيان ما حرمه الكفار في صنيعهم ، فأتى به على الوجه الأبين والنمط الأكمل ، ثم جادلهم فيه ، وأقام الدلائل على بطلانه ، وعارضهم وناقضهم ، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه القصة ، فكانت هذه السورة شرحاً لما تضمنته المائدة من ذلك على سبيل الإجمال ، وتفصيلاً وبسطاً ، وإتماماً وإطناباً .

وافتتحت بذكر الخلق والملك ، لأن الخالق والمالك هو الذي له التصرف في ملكه ، ومخلوقاته ، إباحة ومنعاً[1] ، وتحريماً وتحليلاً ، فيجب ألا يتعدى عليه بالتصرف في ملكه .

وكانت هذه السورة بأسرها متعلقة بالفاتحة من وجه كونها شارحة لإجمال قوله : ﴿ **رب العالمين** ﴾ . وللبقرة من حيث شرحها لإجمال قوله : ﴿ **الذي خلقكم والذين من قبلكم** ﴾ [ ٢١ ] . وقوله : ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً** ﴾ [ ٢٩ ] . وبآل عمران من جهة تفصيلها لقوله : ﴿ **والأنعام والحرث** ﴾ [ ١٤ ] . وقوله : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ [ ١٨٥ ] . الآية .

وبالنساء من جهة ما فيها من بدء الخلق ، والتقبيح لما حرموه على أزواجهم ، وقتل البنات بالوأد[2] .

---

(١) ذلك لأن أصول الأحكام خمسة : ( الحلال ، والحرام ، والمستحب ، والمكروه ، والمباح ) . .

(٢) لقوله تعالى : ﴿ **قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله** ﴾ [ ١٤٠ ] .

وبالمائدة من حيث اشتمالها على الأطعمة بأنواعها[١] .

وفي افتتاح السور المكية بها وجهان آخران من المناسبة .

**الأول** : افتتاحها بالحمد .

**والثاني** : مشابهتها للبقرة ، المفتتح بها السور المدنية ، من حيث أن كلا منهما نزل مشيعاً . ففي حديث أحمد : « البقرة سنام القرآن وذروته ، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً »[٢] . وروى الطبراني وغيره من طرق : « أن الأنعام شيعها سبعون ألف ملك »[٣] . وفي رواية : « خمسمائة ملك » .

ووجه آخر ، وهو : أن كل ربع من القرآن افتتح بسورة أولها الحمد . وهذه للربع الثاني ، والكهف للربع الثالث ، وسبأ وفاطر للربع الرابع .

وجميع هذه الوجوه التي استنبطتها من المناسبات بالنسبة للقرآن كنقطة من بحر .

ولما كانت هذه السورة لبيان بدء الخلق ، ذكر فيها ما وقع عند بدء الخلق ، وهو قوله : ﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة** ﴾[٤] . [ ٥٤ ] . ففي الصحيح : « لما فرغ الله من الخلق ، وقضى القضية ، كتب كتاباً عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي »[٥] .

---

(١) المائدة ( ٥/ ٤١ ـ ١٤٨ ) .

(٢) أخرجه الدارمي عن ابن مسعود ( ٢/ ٤٤٧ ) .

(٣) راجع صفوة التفاسير ( ٧ / ٣٦٣ ) .

(٤) راجع القرطبي ( ٦ / ٤٥٣ ) والصابوني ( ٧ / ٣٧٩ ) .

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري في الصحيح ( ٤/ ١٢٩ ) .

# سورة الأعراف

أقول : مناسبة وضع هـذه السورة عقب سـورة الأنعام فيـما ألهمني الله سبحانه : أن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق ، وقال فيهـا : ﴿ **هو الـذي خلقكم من طـين** ﴾ [ ٢ ] . وقـال في بيـان القـرون : ﴿ **كم أهلكنـا من قبلهم من قـرن** ﴾ [ ٦ ] . وأُشير فيهـا إلى ذكـر المـرسلين ، وتعـداد كثـير منهم ، وكانت الأمور الثلاثة عـلى وجه الإجمـال ، لا التفصيل ، ذكـرت هذه السورة عقبها ، لأنها مشتملة على شرح الأمور الثلاثة وتفصيلها .

فبسط فيهـا قصـة خلق آدم أبلغ بسط ، بحيث لم تبسط في سـورة كـما بسطت فيها . وذلـك تفصيل إجمـال قولـه ﴿ **خلقكم من طين** ﴾ [ ٦ : ٢ ] ثم فصلت قصص المـرسلين وأُممهم ، وكيفية إهـلاكهم ، تفصيلاً تـاماً شـافياً مستوعباً ، لم يقع نظيره في سورة غيـرها ، وذلـك بسط حال القـرون المهلكة ورسلهم ، فكانت هذه السورة شرحاً لتلك الآيات الثلاث .

وأيضـاً ، فـذلـك تفصيـل قـولـه : ﴿ **وهـو الـذي جعلكم خـلائف الأرض** ﴾(١) . [ ٦ : ١٦٥ ] . ولهـذا صدَّر هـذه السورة بخلق آدم الـذي جعله الله في الأرض خليفـة . وقـال في قصـة عـاد : ﴿ **جعلكم خلفـاء من بعـد قـوم نـوح** ﴾ [ ٦٩ ] . وفي قصـة ثمـود : ﴿ **جعلكم خلفـاء من بعـد عاد** ﴾ [ ٧٤ ] .

وأيضـاً فقـد قـال في الأنعـام : ﴿ **كتب ربكم عـلى نفسـه الـرحمـة** ﴾

(١) راجع تفسير الطبري ( ٨ / ٨٤ ) .

[ ١٢ ] . وهو موجز ، وبسطه هنا بقوله : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون** ﴾ [ ١٥٦ ] . إلى آخره . فبين من كتبها لهم .

وأما وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الأنعام فهو : أنه قد تقدم هناك : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه** ﴾ [ ١٥٣ ] . وقوله : ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه** ﴾ [ ١٥٥ ] . فافتتح هذه السورة أيضاً باتباع الكتاب في قوله: ﴿ **كتاب أُنزل إليك** ﴾ إلى ﴿ **اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم** ﴾ [ ٢ ، ٣ ] .

وأيضاً لما تقدم في الأنعام : ﴿ **ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** ﴾ [ ١٥٩ ] . ﴿ **ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾ [ ١٦٤ ] . قال في مفتتح هذه السورة : ﴿ **فلنسألن الذين أُرسل إليهم ولنسألن المرسلين * فلنقصن عليهم بعلم** ﴾ [ ٦ ، ٧ ] . وذلك شرح التنبئة المذكورة .

وأيضاً فلما قال في الأنعام : ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾ [ ١٦ ] . الآية . وذلك لا يظهر إلا في الميزان ، افتتح هذه السورة بذكر الوزن ، فقال : ﴿ **والوزن يومئذٍ الحق** ﴾ [ ٨ ] . ثم ذكر من ثقلت موازينه ، وهو من زادت حسناته على سيئاته ، ثم من خفت موازينه ، وهو من زادت سيئاته على حسناته ، ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الأعراف ، وهم قوم استوت[١] حسناتهم وسيئاتهم .

---

(١) استوت : تساوت وتناظرت .

# سورة الأنفال

اعلم أن وضع هذه السورة وبراءة هنا ليس بتوقيف من الرسول ﷺ والصحابة ، كما هو الراجح في سائر السور ، بل اجتهاد من عثمان رضي الله عنه .

وقد كان يظهر في بادىء الرأي : أن المناسب إيلاء الأعراف بيونس وهود ، لاشتراك كل في اشتمالها على قصص الأنبياء ، وأنها مكية النزول ، خصوصاً أن الحديث ورد في فضل السبع الطوال ، وعدوا السابعة يونس ، وكانت تسمى بذلك كما أخرجه البيهقي في الدلائل . ففي فصلها من الأعراف بسورتين هما الأنفال وبراءة فصل للنظير عن سائر نظائره ، هذا مع قصر سورة الأنفال ، بالنسبة إلى الأعراف وبراءة .

وقد استشكل ابن عباس حبر الأمة قديماً ذلك . فأخرج أحمد وأبو داوودوالترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم،عن ابن عباس قال : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني[1] ، والى براءة وهي من المئين[2] ، فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتموهما في السبع الطوال ؟ فقال عثمان : كان رسول الله ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا

---

(١) قيل المثاني ربما تكون من الثناء ، لأن فيها الثناء والدعاء ،أو لأنها تثنى بغيرها . راجع الإتقان ( ١/ ١٩٠ ) بتصرف .

(٢) المئين : هي السورة التي زادت آياتها عن المائة أو قاربتها ، وهي ما وليت الطوال ، راجع الإتقان للسيوطي ( ١/ ٢٤٠ ) .

بعض من كان يكتب ، فيقول : ضعوا تلك الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتها في السبع الطوال .

فانظر إلى ابن عباس رضي الله عنه ، كيف استشكل على عثمان رضي الله عنه أمرين : وضع الأنفال وبراءة في أثناء السبع الطوال ، مفصولاً بهما بين السادسة والسابعة ، ووضع الأنفال وهي قصيرة مع السور الطويلة . وانظر كيف أجاب عثمان رضي الله عنه أولاً بأنه لم يكن عنده في ذلك توقيف ، فإنه استند الى اجتهاد ، وأنه قرن بين الأنفال وبراءة لكونها شبيهة بقصتها في اشتمال كل منهما على القتال ، ونبذ العهود ، وهذا وجه بيِّن المناسبة جليّ ، فرضي الله عن الصحابة ، ما أدق أفهامهم ! وأجزل آراءهم ! وأعظم أحلامهم !

وأقول : يتم بيان مقصد عثمان رضي الله عنه في ذلك بأمور فتح الله بها :

**الأول** : أنه جعل الأنفال قبل براءة مع قصرها ، لكونها مشتملة على البسملة ، فقدمها لتكون لفظة منها ، وتكون براءة بخلوها منها كتتمتها وبقيتها ، ولهذا قال جماعة من السلف[1] : إن الأنفال وبراءة سورة واحدة ، لا سورتان .

**الثاني** : أنه وضع براءة هنا لمناسبة الطول ، فإنه ليس في القرآن بعد الأعراف أنسب ليونس طولاً منها ، وذلك كافٍ في المناسبة .

**الثالث** : أنه خلَّل بالسورتين [ الأنفال وبراءة ] أثناء السبع الطوال

---

(١) أخرجه ابن اشتة عن ابن لهيعة .

المعلوم ترتيبها في العصر الأول ، للإشارة إلى أن ذلك أمر صادر لا عن توقيف ، وإلى أن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يبين محلهما ، . فوضعتا كالموضع المستعار بين السبع الطوال ، بخلاف ما لو وضعتا بعد السبع الطوال ، فإنه كان يوهم أن ذلك محلهما بتوقيف ، وترتيب السبع الطوال يرشد إلى دفع هذا الوهم .

فانظر الى هذه الدقيقة[1] التي فتح الله بها ، ولا يغوص عليها إلا غواص .

**الرابع** : أنه لو أخرهما وقدم يونس ، وأتى بعد براءة بهود ، كما في مصحف أبي بن كعب ؛ لمراعاة مناسبة السبع الطوال ، وإيلاء بعضها بعضاً ، لفاتما مع ماأشرنا اليهأمر آخر آكد[2] في المناسبة. فإن الأولى بسورة يونس أن تولى بالسور الخمس التي بعدها ، لما اشتركت فيه من الاشتمال على القصص ، ومن الافتتاح بالذكر ، وبذكر الكتاب ، ومن كونها مكيات ، ومن تناسب ـ ما عدا الحجر في المقدار ـ وبالتسمية باسم نبي ، والرعد[3] اسم ملك ، وهو مناسب لأسماء الأنبياء .

فهذه ستة وجوه في مناسبة الاتصال بين يونس وما بعدها ، وهي آكد من ذلك الوجه السابق في تقديم يونس بعد الأعراف .

ولبعض هذه الأمور قدمت سورة الحجر على النحل ، مع كونها أقصر منها ولو أخرت براءة عن هذه السور الست المناسبة جداً بطولها لجاءت بعد عشر سور أقصر منها بخلاف وضع سورة النحل بعد الحجل ، فإنها ليست كبراءة في الطول .

---

(١) الدقيقة : اللطيفة .

(٢) آكد في المناسبة : أكثر تأكيداً .

(٣) راجع الصابوني في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويسبح الرعد بحمده ﴾ [ ١٣ / ١١ ] في الجزء ١٣ ص ٦٧٢ ، وما بعدها .

ويشهد لمراعاة الفواتح في مناسبة الوضع ما ذكرنا من تقديم الحجر على النحل لمناسبة ذوات ( الر ) قبلها ، وما تقدم من تقديم آل عمران على النساء وإن كانت أقصر منها لمناسبة البقرة ، مع الافتتاح بـ ( ألم ) ، وتوالي الطواسين والحواميم ، وتوالي العنكبوت والروم والقمر والسجدة ، لافتتاح كل بـ ( ألم ) ، ولهذا قدمت السجدة على الأحزاب التي هي أطول منها .

هذا ما فتح الله به .

وأما ابن مسعود فقدم في مصحفه البقرة على النساء ، وآل عمران ، والأعراف ، والأنعام ، والمائدة ، ويونس ، فراعى الطوال ، وقدم الأطول فالأطول . ثم ثنى بالمئين ، فقدم براءة ، ثم النحل ، ثم هود ، ثم يوسف، ثم الكهف . وهكذا الأطول فالأطول ، وذكر الأنفال بعد النور .

ووجه مناسبتها لها : أن كلاً منهما مدنية ، ومشتملة على أحكام ، وأن في النور ﴿ **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم** ﴾[1] [ ٥٥ ] الآية . وفي الأنفال ﴿ **واذكروا إذ أنتم مستضعفون في الأرض تخافون** ﴾[2] [ ٢٦ ] الآية . ولا يخفى ما بين الآيتين من المناسبة ، فإن الأولى مشتملة على الوعد بما حصل ، وذكّر به في الثانية . فتأمل .

---

(١) راجع في تفسير الآية زاد المسير ( ٦ / ٥٧ ) .

(٢) راجع حاشية الصاوي على الجلالين ( ٢/ ١٢٢ ) .

# سورة براءة

أقول : قد عرف وجه مناسبتها ، ونزيد هنا أن صدرها[1] تفصيل لإجمال قوله في الأنفال : ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء** ﴾ [ ٥٨ ] . وآيات الأمر بالقتال متصلة بقوله هناك : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ [ ٦٠ ] الآية . ولذا قال هنا في قصة المنافقين : ﴿ **ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة** ﴾ [ ٤٦ ] .

ثم بين السورتين تناسب من وجه آخر ، وهو : أنه سبحانه في الأنفال تولى قسمة الغنائم ، وجعل خُمسها خَمسة أخماس[2] ، وفي براءة تولى قسمة الصدقات ، وجعلها لثمانية أصناف[3] .

---

(١) صدر التوبة ﴿ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [ ٩ / ٣-٥ ] .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ واعلموا أنما غنتم من شيء فإن لله خمسه ، وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ [ ٨ / ٤١ ] .

(٣) وقد قال في ذلك : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عزيز حكيم ﴾ [ ٩ / ٦٠ ]

راجع تفسير الطبري ( ١٠ / ١١٠ ) والدر المنثور ( ٣/ ٢٥١ ) .

# سورة يونس

أقول : قد عرف وجه مناسبتها فيما تقدم في الأنفال . ونزيد هنا : أن مطلعها شبيه بمطلع سورة الأعراف ، وأنه سبحانه قال فيها : ﴿ **أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا** ﴾ [ ٢ ] فقدم الإنذار وعممه ، وأخر البشارة وخصصها . وقال تعالى في مطلع الأعراف : ﴿ **لتنذر به وذكرى للمؤمنين** ﴾ [ ٢ ] . فخص الذكرى وأخرها ، وقدم الإنذار ، وحذف مفعوله ليعُم .

وقال هنا : ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش** ﴾ [ ٣ ] . وقال في الأوائل ، أي أوائل الأعراف مثل ذلك[١] .

وقال هنا : ﴿ **يدبر الأمر** ﴾ [ ٣ ] . وقال هناك : ﴿ **مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر** ﴾ [ ٥٤ ] .

وأيضاً فقد ذكرت قصة فرعون وقومه في الأعراف[٢] ، فاختصر ذكر عذابهم ، وبسطه في هذه السورة أبلغ بسط[٢] .

فهي شارحة لما أُجمل في سورة الأعراف منه .

(١) في قوله تعالى : ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار** ﴾ [ ٧ / ٥٤ ] .

الطبري ( ١٢/ ٤٨٠ ) والقرطبي ( ٧ / ٢١٩ ) .

(٢) وعذاب فرعون ورد في الأعراف في قوله : ﴿ **فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم** ﴾ [ ٧ / ١٣٦ ] وفي يونس : ﴿ **حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت . . .** ﴾ الآية [ ١٠ / ٩٠- ٩٢ ] .

# سورة هود

أقول : وجه وضعها بعد سورة يونس زيادة على الأوجه الستة السابقة : أن سورة يونس ذكر فيها قصة نوح مختصرة جداً ، مجملة[1] ، فشرحت في هذه السورة وبسطت بما لم يبسطه في غيرها من السور[2] ، ولا في سورة الأعراف على طولها ، ولا في سورة ﴿ إنا أرسلنا نوحاً ﴾ التي أفردت لقصته .

فكانت هذه السورة شارحة لما أجمل في سورة يونس ، فإن قوله هناك : ﴿ واتبع ما يوحى إليك ﴾ [ ١٠٩ ] هو عين قوله هنا : ﴿ كتاب أُحكمت آياتهُ ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [٢ ] . [ فكان أول هود تفصيلاً لخاتمة يونس ] .

---

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ نوح ﴾ إلى قوله : ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ [ ١٠ / ٧١ - ٧٣ ] .

(٢) في قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ إلى قوله : ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك ﴾ [ ١١ / ٢٥ - ٤٨ ] .

# سورة يوسف

أقول : وجه وضعها بعد سورة هود زيادة على الأوجه الستة السابقة : أن قوله في مطلعها : ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ [ ٣ ] مناسب لقوله في مقطع تلك : ﴿ **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نُثبت به فؤادك** ﴾ [ ١٢٠ ] .

وأيضاً فلما وقع في سورة هود : ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ [ ٧١ ] . وقوله : ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت** ﴾ [ ٧٣ ] . ذكر هنا حال يعقوب مع أولاده ، وحال ولده الذي هو من أهل البيت مع إخوته ، فكان كالشرح لإجمال ذلك .

وكذلك قال هنا :﴿ **ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق** ﴾ [ ٦ ] . فكان ذلك كالمقترن بقوله في هود : ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت** ﴾ [ ٧٣ ] .

وقد روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيب النزول : أن يونس نزلت ، ثم هود ، ثم يوسف[١] . وهذا وجه آخر من وجوه المناسبة في ترتيب هذه السور الثلاث ، لترتيبها في النزول هكذا .

---

(١) قال الإمام السيوطي هذا في الإتقان ( ١/ ٩٧ ) .

# سورة الرعد

أقول : وجه وضعها بعد سورة يوسف زيادة على ما تقدم بعد ما فكرت فيه طائفة من الزمان : أنه سبحانه قال في آخر تلك : ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾[1] [ ١٠٥ ] . فذكر الآيات السمائية والأرضية مجملة ، ثم فصل في مطلع هذه السورة .

فقوله : ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى يدبِّر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾[2] [ ٢ - ٤ ] تفصيل الآيات الأرضية .

هذا مع اختتام سورة يوسف بوصف الكتاب ، ووصفه بالحق ، وافتتاح هذه بمثل ذلك ، وهو من تشابه الأطراف .

---

(١) راجع تفسير الطبري للآية الشريفة ( ١٣/ ٥٠ )

(٢) راجع تفسير الآيات في الطبري ( ١٣/ ٦٣ - ٦٥ ) ومجاز القرآن ( ١/ ٣٢١ ) والبحر المحيط ( ٥/ ٣٥٨ ) .

# سورة ابراهيم

أقول : وجه وضعها بعد سورة الرعد زيادة على ما تقدم بعد إفكاري فيه برهة : أن قوله في مطلعها : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك** ﴾ [ ٢ ] مناسب لقوله : في مقطع تلك : ﴿ **ومَن عنده علم الكتاب** ﴾ [ ٤٣ ] . على أن المراد بـ ﴿ **من** ﴾ هو : الله تعالى جل جلاله .

وأيضاً ففي الرعد : ﴿ **ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم** ﴾ [ ٣٢ ] . وذلك مجمل في أربعة مواضع : الرسل ، والمستهزئين ، وصفة الاستهزاء ، والأخذ . وقد فصلت الأربعة في قوله : ﴿ **ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود** ﴾ [ ٩ - ١٦ ] الآيات[١] .

---

(١) راجع الآيات الآتية من سورة إبراهيم ( ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ) .

# سورة الحجر

أقول : تقدمت الأوجه في اقترانها بالسورة السابقة . وإنما أُخرت عنها لقصرها بالنسبة إليها ، وهذا القسم من سور القرآن للمئين ، فناسب تقديم الأطول ، مع مناسبة ما ختمت به لبراعة الختام ، وهو قوله : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ [ ٩٩ ] . فإنه مفسر بالموت[١] ، وذلك مقطع في غاية البراعة .

وقد وقع ذلك في أواخر السور المقترنة . ففي آخر آل عمران : ﴿ **واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ [ ٢٠٠ ] . وفي آخر الطواسين : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه ألا له الحكم وإليه ترجعون** ﴾ [ ٢٨ : ٨٨ ] . وفي آخر ذوات ﴿ **الر** ﴾ : ﴿ **وانتظر إنهم منتظرون** ﴾ [ ٣٢ : ٣٠ ] . وفي آخر الحواميم ﴿ **كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ** ﴾ [ ٤٦ : ٣٥ ] .

ثم ظهر لي وجه اتصال أول هذه السورة بآخر سورة إبراهيم ، فإنه تعالى لما قال هناك في وصف يوم القيامة : ﴿ **وبرزوا لله الواحد القهار * وترى المجرمين يومئذٍ مقرنين في الأصفاد * سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار** ﴾ [ ٤٨ ـ ٥٠ ] . قال هنا : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ [ ٢ ] . فأخبر أن المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم في

(١) تفسير غريب القرآن ( ص ٢٤٠ ) .

النار ورأوا عصاة المؤمنين الموحدين قد أخـرجوا منهـا ، تمنوا أن لـو كانـوا في الدنيا مسلمين . وذلك وجه حسن في الربط ، مـع اختتام آخـر تلك بوصف الكتاب ، وافتتاح هذه به ، وذلك من تشابه الأطراف .

# سورة النحل

أقول : وجه وضعها بعد سورة الحجر : أن آخرها شديد الالتئام بأول هذه ، فإن قوله في آخر تلك : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ [ ٩٩ ] . الذي هو مفسر بالموت ، ظاهر المناسبة لقوله هنا : ﴿ **أتى أمر الله** ﴾ [ ١ ] . وانظر كيف جاء في المقدّمة بيأتيك اليقين ، وفي المتأخرة بلفظ الماضي ، لأن المستقبل سابق على الماضي ، كما تقرر في المعقول والعربية .

وظهر لي أن هذه السورة شديدة الاعتلاق بسورة ابراهيم ، وإنما تأخرت عنها لمناسبة الحجر ، في كونها من ذوات ﴿ **الر** ﴾ .

وذلك : أن سورة ابراهيم وقع فيها ذكر فتنة الميت ، ومن هو ميت وغيره[1] ، وذلك أيضاً في هذه بقوله : ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم** ﴾ [ ٢٨ ] الآيات . فذكر الفتنة ، وما يحصل عندها من الثبات والإضلال ، وذكر هنا ما يحصل عقب ذلك من النعيم والعذاب .

ووقع في سورة ابراهيم : ﴿ **وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ [ ٤٦ ] . وقيل : إنها في الجبار الذي أراد أن يصعد السماء بالنسور . ووقع هنا أيضاً في قوله : ﴿ **وقد مكر**

---

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿ **يتجرّعُهُ ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ** ﴾ [ ١٤ / ١٧ ] .

**الذين من قبلهم** ﴾ [ ٢٦ ] .

ووقع في سورة ابراهيم ذكر النعم ، وقال عقبها : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ [ ٣٤ ] . ووقع هنا ذكر ذلك معقَّباً بمثل ذلك .

# سورة بني اسرائيل

اعلم أن هـذه السورة والأربـع بعدهـا من قديم مـا أُنـزل . أخـرج البخـاري عن ابن مسعـود أنـه قـال في بني اسـرائيـل والكهف ومـريم وطـه والأنبيـا ء : « من العتـاق الأول ، وهن من تـلادي »[1] . وهـذا وجـه في تـرتيبها ، وهـو اشتراكهـا في قدم النـزول ، وكونها مكيـات ، وكونها مشتملة على القصص .

وقد ظهر لي في وجـه اتصالهـا بسورة النحـل : أنه سبحـانه لمـا قال في آخـر النحل : ﴿ **إنمـا جعل السبت عـلى الـذين اختلفـوا فيـه** ﴾ [ ١٢٤ ] . فسَّر في هذه شريعة أهـل السبت وشأنهم ، فـذكر فيهـا جميع مـا شرع لهم في التـوراة ، كما أخـرج ابن جريـر عن ابن عباس أنـه قال : « التـوراة كلها في خمس عشـرة آيـة من سـورة بني اسـرائيـل » . وذكـر عصيـانهم وفسـادهم ، وتخـريب مسجدهم ، ثم ذكـر استفـزازهم للنبي ﷺ ، وإرادتهم إخـراجـه من المـدينـة ، ثم ذكـر سؤالهم إيـاه عن الـروح ، ثم ختم السـورة بـآيـات مـوسى التسـع ، وخـطابـه مـع فـرعـون ، وأخبـر أن استفـزازهم للنبي ﷺ ليخـرجـوه من المـدينـة هـو وأصحـابـه كـنـظير مـا وقـع لهم مـع فـرعـون لمـا استفزهم ، ووقع ذلك أيضاً .

ولما كانت هذه السورة مصـدَّرة بقصة تخـريب المسجد الأقصى،أُسـرِي بـالمصطفى إليـه ، تشريفـاً له بحلول ركـابه الشـريف . فلله الحمد عـلى مـا ألهم .

---

(١) البخاري ( ٦ / ١٨٩ ) .

# سورة الكهف

قال بعضهم : مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء : إفتتاح تلك بالتسبيح[1] ، وهذه بالتحميد[2] ، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد ، نحو : ﴿ **فسبح بحمد ربك** ﴾ [ ١٥ : ٩٨ و٢٠ : ١٣٠ و٤٠ : ٥٥ و٥٠ : ٣٩ و٥٢ : ٤٨ ] . وسبحان الله وبحمده .

قلت : مع اختتام ما قبلها بالتحميد أيضاً[3] ، وذلك من وجوه المناسبة بتشابه الأطراف .

ثم ظهر لي وجه آخر أحسن في الاتصال . وذلك : أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء : عن الروح ، وعن قصة أصحاب الكهف ، وعن قصة ذي القرنين[4] . وقد ذكر جواب السؤال الأول في آخر سورة بني اسرائيل ، فناسب اتصالها بالسورة التي اشتملت على جواب السؤالين الآخرين .

فإن قلت : هلا جمعت الثلاثة في سورة واحدة ؟

---

(١) راجع القرطبي ( ١٠/ ٣٤٦ ) والدر المنثور ( ٤/ ٢٠٨ ) والبحر المحيط ( ٦/ ٩٥ ) .

(٢) راجع الإتقان للسيوطي ( ٣/ ٣٨٧ ) .

(٣) وقد اختتمت الإسراء بقوله تعالى : ﴿ **وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك** ﴾ [ ١٧ / ١١١ ] .

(٤) راجع ابن كثير ( ٥/ ١٣٧ ) .

قلت : لما لم يقع الجواب عن الأول بالبيان ، ناسب فصله في سورة .

ثم ظهر لي وجه آخر : وهو أنه لما قال فيها : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾[1] [ ٥٨ ] . والخطاب لليهود ، واستظهر على ذلك بقصة موسى في بني اسرائيل مع الخضر ، التي كان سببها ذكر العلم والأعلم ، وما دلت عليه من إحاطة معلومات الله عز وجل التي لا تحصى ، فكانت هذه السورة كإقامة الدليل لما ذكر من الحكم .

وقد ورد في الحديث أنه لما نزل : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ قال اليهود : قد أوتينا التوراة ، فيها علم كل شيء ، فنزل : ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً** ﴾[2] [ ١٠٩ ] في هذه السورة . فهذا وجه آخر في المناسبة . وتكون السورة من هذه الجهة جواباً عن شبهة الخصوم فيما قدر بتلك .

وأيضاً فلما قال هناك : ﴿ **فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً** ﴾ [ ١٠٤ ] شرح ذلك هنا وبسطه ، بقوله : ﴿ **فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء** ﴾ إلى ﴿ **ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً . وعرضنا جهنم يومئذٍ للكافرين عرضاً** ﴾ [ ٩٨ - ١٠٠ ] .

فهذه وجوه عديدة في الاتصال .

---

(١) راجع الصابوني في تفسيره ( ١٥/ ٧٦٩ ) .

(٢) راجع أسباب النزول للسيوطي ص ١٧٦ .

## سورة مريم

أقول : ظهر لي في مناسبتها لما قبلها : أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب : قصة أصحاب الكهف ، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب ، وقصة موسى مع الخضر ، وما فيها من الخارقات ، وقصة ذي القرنين . وهذه السورة فيها أعجوبتان ، قصة ولادة يحيى بن زكريا ، وقصة ولادة عيسى ، فناسب تتاليهما .

وأيضاً فقد قيل : إن أصحاب الكهف يبعثون قبل قيام الساعة ، ويحجون مع عيسى ابن مريم حين ينزل ، ففي ذكر سورة مريم بعد سورة أصحاب الكهف مع ذلك ـ إن ثبت ـ ما لا يخفى من المناسبة .

وقد قيل أيضاً : إنهم من قوم عيسى ، وإن قصتهم كانت في الفترة ، فناسب توالي قصتهم وقصة نبيهم .

# سورة طه

أقول : روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيب النزول : أن طه نزلت بعد سورة مريم ، بعد ذكر سورة أصحاب الكهف . وذلك وحده كافٍ في مناسبة الوضع ، مع التآخي بالافتتاح بالحروف المقطعة .

وظهر لي وجه آخر ، وهو : أنه لما ذكر في سورة مريم قصص عدة من الأنبياء وهم : زكريا ، ويحيى ، وعيسى ، الثلاثة مبسوطة . وإبراهيم ، وهي بين البسط والإيجاز ، وموسى ، وهي موجزة بجملة ، أشار إلى بقية النبيين في الآية الأخيرة إجمالاً . وذكر في هذه السورة شرح قصة موسى ، التي أجملها هناك ، فاستوعبها غاية الاستيعاب ، وبسطها أبلغ بسط ، ثم أشار إلى تفصيل قصة آدم ، الذي وقع مجرد اسمه هناك . ثم أورد في سورة الأنبياء بقية قصص من لم يذكر في مريم ، كنوح ، ولوط ، وداوود، وسليمان ، وأيوب ، وذي الكفل ، وذي النون ، وأشير إلى قصة من ذكرت قصته إشارة وجيزة ، كموسى ، وهارون ، واسماعيل ، وزكريا ، ومريم ، لتكون السورتان كالمتقابلتين .

وبسطت فيها قصة إبراهيم البسط التام فيما يتعلق به مع قومه ، ولم تذكر حاله مع أبيه إلا إشارة[1] . كما أنه في سورة مريم ذكر حاله مع قومه

---

(١) وردت قصة ابراهيم في سورة الأنبياء ( ٢١/ ٥١ - ٧٣ ) .

إشـارة ، ومع أبيـه مبسوطـاً[1] . فانـظر إلى عجيب هذا الأسلوب ، وبـديـع هذا الترتيب .

( ١ )وقد وردت قصة إبـراهيم وأبيه في مـريم من قولـه تعالى : ﴿ **إذ قـال إبراهيم لأبيـه يا أبت لم تعبـد ما لا يسمـع ولا يبصر** ﴾ [ ٤٢ ] إلى قـوله تعـالى : ﴿ **سأستغفـر لـك ربي إنه كـان بي حفياً** ﴾ [ ٤٧ ] . .

# سورة الأنبياء

قـدمت ما فيهـا مستـوفى . وظهـر لي في اتصـالها بـآخـر طـه : أنـه سبحـانه لمـا قال : ﴿ **قـل كل متـربص فتربصـوا** ﴾ [ ١٣٥ ] . وقال قبله : ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لـزاماً وأجـلاً مسمى** ﴾ [ ١٢٩ ] . قال في مـطلع هـذه : ﴿ **اقتـرب للنـاس حسـابهم** ﴾ [ ١ ] . إشـارة إلى قـــرب الأجل ، ودنو الأمل المنتظر .

وفيـه أيضاً منـاسبة لقـوله هنـاك : ﴿ **ولا تمدن عينيـك إلى ما متعنـا به أزواجـاً منهم** ﴾ [ ١٣١ ] الآية . فـإن قرب السـاعـة يقتضي الإعـراض عن هذه الحياة الدنيا ، لدنوها من الزوال والفنـاء ، ولهذا ورد في الحـديث : أنها لمـا نـزلت قيـل لبعض الصحـابـة : هـلا سـألت النبي ﷺ عنهـا ؟ فقــال : « نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا » .

# سورة الحج

أقول : وجه اتصالها بسورة الأنبياء : أنه ختمها بوصف الساعة في قوله : ﴿ **واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا** ﴾ [ ٩٧ ] . وافتتح هذه بذلك ، فقال : ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعةٍ عما أرضعت وتضعُ كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى** ﴾ [ ١ - ٢ ] .

# سورة المؤمنون

أقول : وجه اتصالها بسورة الحج : أنه لما ختمها بقوله : ﴿ **وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾ [ ٧٧ ] . وكان ذلك مجملاً ، فصله في فاتحة هذه السورة ، فذكر خصال الخير التي من فعلها فقد أفلح ،فقال : ﴿ **قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ [ ١ ـ ٦ ] . الآيات .

# سورة النور

أقول : وجه اتصالها بسورة قد أفلح : أنه لما قال : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون** ﴾ [ ٥ ] . ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه ، من الزانية والزاني ، وما اتصل بذلك من شأن القذف ، وقصة الإفك ، والأمر بغض البصر[١] ، وأمر فيها بالنكاح حفظاً للفروج ، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف ، وحفظ فَرجه ، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا .

ولا ارتباط أحسن من هذا الارتباط ، ولا تناسق أبدع من هذا النسق .

---

(١) قال تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ [ النور ـ ٢٤ / ٢ ] .

# سورة الفرقان

ظهر لي بفضل الله بعدما فكرت في هذه : أن نسبة هذه السورة لسورة النور ، كنسبة سورة الأنعام إلى المائدة .

من حيث أن النور قد ختمت بقوله : ﴿ **لله ما في السموات والأرض** ﴾ [ ٦٤ ] . كما ختمت المائدة بقوله : ﴿ **لله ملك السموات والأرض وما فيهن** ﴾ [ ١٢٠ ] .

وكانت جملة النور أخصر من المائدة ، ثم فصلت هذه الجملة في سورة الفرقان فافتتحت بقوله : ﴿ **الذي له ملك السموات** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وخلق كل شيء فقدره تقديراً** ﴾ [ ٢ ] . كما افتتحت الأنعام بمثل ذلك[1] . وكان قوله عقبه : ﴿ **واتخذوا من دونه آلهة** ﴾ [ ٣ ] إلى آخره ، نظير قوله هناك : ﴿ **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾ [ ١ ] .

ثم ذكر في خلال هذه السورة جملة من المخلوقات ، كمدّ الظل ، والليل ، والنوم ، والنهار ، والرياح ، والماء ، والأنعام ، والأناسي ، ومرْج البحرين ، والإنسان ، والنسب ، والصهر ، وخلق السموات والأرض في ستة أيام ، والاستواء على العرش ، وبروج السماء ، والسراج ، والقمر ، إلى غير ذلك ، مما هو تفصيل لجملة : ﴿ **لله ما في السموات**

---

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿ **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور** ﴾ [ ٦ / ١ ] . راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٦ / ٣٩١ ) وأسباب النزول ص ١٢٢ . في تفسير هذه الآية . .

والأرض ﴾[1] . كما فصل آخر المائدة في الأنعام بمثل ذلك . وكان البسط في الأنعام أكثر لطولها . .

ثم أشار في هذه السورة الى القرون المكذبة وإهلاكهم ، كما أشار في الأنعام إلى ذلك[2] . ثم أفصح عن هذه الإشارة في السورة التي تليها وهي الشعراء بالبسط التام ، والتفصيل البالغ[3] . كما أوضح تلك الإشارة التي في الأنعام ، وفصلها في سورة الأعراف التي تليها[4] .

فكانت هاتان السورتان [ الفرقان والشعراء ] في المثاني ، نظير تينك السورتين [ الأنعام والأعراف ] في الطوال ، وإتصالهما بآخر النور ، نظير إتصال تلك بآخر المائدة ، المشتملة على فصل القضاء .

ثم ظهر لي لطيفة أخرى ، وهي : أنه إذا وقعت سورة مكية بعد سورة مدنية ، افتتح أولها بالثناء على الله ، كالأنعام بعد المائدة ، والإسراء بعد النحل ، وهذه بعد النور ، وسبأ بعد الأحزاب ، والحديد بعد الواقعة ، وتبارك بعد التحريم ، لما في ذلك من الإشارة إلى نوع استقلال ، وإلى الإنتقال من نوع إلى نوع .

---

(١) وقد اجتمعت والتقت كل هاتيك المعاني في قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظلَّ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾ [ ٢٥ / ٤٦ - ٦١ ] .

راجع تفسير هذه الآيات في الطبري ( ١٩ / ١٢ ) والفخر الرازي الكبير ( ٢٤ / ٨٨ ) .

(٢) ارجع الى سورة الفرقان في قوله تعالى : ﴿ فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا ﴾ إلى قوله : ﴿ وكلا تبرنا تتبيراً ﴾ [ ٢٥ / ٣٦ - ٣٩ ] . راجع الطبري ( ١٩ / ٨ ) وما بعدها . .

(٣) راجع الآيات ( ٢٦ / ٦٤ - ٨٩ ) وانظر هذه التفاسير : التفسير الكبير للفخر الرازي ( ٢٤ / ١٤٢ ) والجامع لأحكام القرآن ( ١٣ / ١١٠ ) وما بعدها وجامع البيان للطبري ( ١٩ / ٥٥ ) .

(٤) وقد ورد أحوال هاتيك الأمم المكذبة في الأعراف من قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فأولئك هم الخاسرون ﴾ [ ٧ / ٥٩ - ١٨٧ ] راجع البحر المحيط ( ٤ / ٣٢٠ ) وما بعدها ، والزمخشري في كشافه ( ٢ / ١١٦ ) وما تلاها وروح المعاني للألوسي ( ٨ / ١٣٦ ) وما بعدها . والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٧ / ٢٣٩ ) .

# سورة الشعراء

أقول . وجه اتصالها بسورة الفرقان أنه تعالى لما أشار فيها إلى قصص مجملة بقوله : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا * فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا * وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليما * وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيرا** ﴾ [ ٣٥ - ٣٨ ] . شرح هذه القصص ، وفصلها أبلغ تفصيل في الشعراء التي تليها ولذلك رتبت على ترتيب ذكرها في الآيات المذكورة . فبدىء بقصة موسى ، ولو رتبت على الواقع لأخرت كما في الأعراف .

فانظر الى هذا السر اللطيف الذي منَّ الله بإلهامه[1] .

ولما كان في الآيات المذكورة قوله : ﴿ **وقروناً بين ذلك كثيرا** ﴾ . زاد في الشعراء تفصيلاً لذلك قصة قوم إبراهيم ، وقوم لوط ، وقوم شعيب .

ولما ختم الفرقان بقوله : ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ [ ٦٣ ] . وقوله : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراما** ﴾ [ ٧٢ . ختم هذه السورة بذكر الشعراء الذين هم بخلاف ذلك ، واستثنى منهم من سلك سبيل أولئك ، وبين ما يمدح من الشعر ، ويدخل في قوله . ﴿ **سلاما** ﴾ . وما يذم منه ، ويدخل في اللغو .

---

(١) والقصد من ذلك إلهامه المؤلف رحمه الله ، وتجاوز عنه لقاء ما قدم للإسلام والمسلمين من علم نافع .

# سورة النمل

أقول : وجه اتصالها بما قبلها : أنها كالتتمة لها ، في ذكر بقية القرون ، فزاد سبحانه فيها ذكر سليمان ، وداوود، وبسط فيها قصة لوط أبسط مما هي في الشعراء .

وقد روينا عن ابن عباس ، وجابر بن زيد ، في ترتيب السور : أن الشعراء أنزلت ، ثم طه ، ثم القصص . ولذلك كان ترتيبها في المصحف هكذا .

وأيضاً فقد وقع فيها : ﴿ **وإذ قال موسى لأهله امكثوا إني آنست ناراً** ﴾ [ ٧ ] . إلى آخره . وذلك تفصيل قوله في الشعراء : ﴿ **فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين** ﴾ [ ٢١ ] .

# سورة القصص

أقول : ظهر لي بعد الفكرة : انه سبحانه لما حكى في الشعراء قول فرعون لموسى : ﴿ **ألم نُرَبِّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين * وفعلت فعلتك التي فعلت** ﴾[1] [ ١٨ - ١٩ ] . إلى قول موسى : ﴿ **ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين** ﴾ [ ٢١ ] . وقال في طس النمل قول موسى لأهله : ﴿ **إني آنست ناراً** ﴾ [ ٧ ] إلى آخره ، الذي هو في الوقوع بعد الفرار ، ولما كان على سبيل الإشارة والإجمال ، بسط في هذه السورة ما أوجزه في السورتين ، وفصل ما أجمله فيهما على حسب ترتيبهما .

فبدأ بشرح تربية فرعون له ، مصدراً بسبب ذلك : من علو فرعون ، وذبح أبناء بني إسرائيل الموجب لإلقاء موسى عند ولادته في اليم خوفاً عليه من الذبح ، وبسط القصة في تربيته ، وما وقع فيها إلى كبره ، إلى السبب الذي من أجله قتل القبطي ، وهي الفعلة التي فعل ، إلى الهم بذلك عليه ، والموجب لفراره إلى مدين[2] ، إلى ما وقع له مع شعيب ، وتزوجه بابنته ، إلى أن سار بأهله ، وآنس من جانب الطور ناراً فقال لأهله : ﴿ **امكثوا إني آنست ناراً** ﴾ إلى ما وقع له فيها من المناجاة لربه ، وبعثه إياه رسولاً ، وما استتبع ذلك ، إلى آخر القصة .

---

(١) القصص ( ٢٨/ ١٨ ، ١٩ ) راجع تفسير الطبري ( ٢٠/ ٣١ ) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ١٣/ ٢٦٥ ) والبحر المحيط ( ٧ / ١١١ ) واللسان ( ٥/ ٨٩ ) .

(٢) مدين : هي مدينة قوم شعيب ، على بحر القلزم ، تجاه تبوك . وهي التي استقى منها موسى لغنم شعيب .

فكانت السورة شارحة لما أجمل في السورتين معاً ، على الترتيب .

وبذلك عرف وجه الحكمة في تقديم﴿ **طس** ﴾على هذه ، وتأخيرها عن الشعراء ، فلله الحمد على ما ألهم .

# سورة العنكبوت

أقول : ظهر لي في وجه اتصالها بما قبلها : أنه تعالى لما أخبر في أول السورة السابقة عن فرعون أنه : ﴿ **علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم** ﴾ [ ٤ ] . افتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار وعذبوهم على الإيمان ، بعذاب دون ما عذب به قوم فرعون بني اسرائيل ، تسلية لهم ، بما وقع لمن قبلهم ، وحثاً لهم على الصبر ، ولذلك قال هنا : ﴿ **ولقد فتنا الذين من قبلهم** ﴾ [ ٣ ] . وهذه أيضاً من حكم تأخير القصص على ﴿ **طس** ﴾

وأيضاً . فلما كان في خاتمة القصص الإشارة الى هجرة النبي ﷺ ، وفي خاتمة هذه الإشارة الى هجرة المؤمنين بقوله : ﴿ **يا عبادي إن أرضي واسعة** ﴾ [ ٥٦ ] ناسب تتاليهما .

# سورة الروم

أقول ظهر لي في اتصالها بما قبلها . انها ختمت بقوله : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾[1] [ ٦٩ ] . فافتتحت هذه بوعد من غلب من أهل الكتاب بالغلبة والنصر ، وفرح المؤمنين بذلك ، وأن الدولة لأهل الجهاد فيه ، ولا يضرهم ما وقع لهم قبل ذلك من هزيمة[2] .

هذا مع تآخيها بما قبلها في المطلع ، فإن كلا منها افتتح بـ ﴿ الم ﴾ غير معقب بذكر القرآن ، وهو خلاف القاعدة الخاصة بالمفتتح بالحروف المقطعة ، فإنها كلها عقبت بذكر الكتاب أو وصفه ، إلا هاتين السورتين وسورة القلم ، لنكتة بينتها في « اسرار التنزيل »[3] .

(١) راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ١٣ / ٣٦٤ ) بتصرف في تفسير هذه الآية .

(٢) لقوله تعالى : ﴿ غلبت الروم في أدنى الأرض ﴾ ولقوله عز من قائل : ﴿ ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾

راجع تفسير أبي السعود ( ٤/ ١٧٦ ) وزاد المسير ( ٦ / ٢٨٨ ) وتفسير الشيخ الصابوني ( ٢١/ ١٠٦٨ ) .

(٣) راجع الإتقان للسيوطي ( ١/ ٢٨١ ) ، والجزء الثالث ص ٣٦٩ .

# سورة لقمان

أقول : ظهر لي في اتصالها بما قبلها مع المؤاخاة في الافتتاح بـ ﴿ الم ﴾ أن قوله تعالى هنا : ﴿ **هدىً ورحمة للمحسنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون** ﴾ [ ٣ - ٤ ] متعلق بقوله في آخر سورة الروم : ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث** ﴾ [ ٥٦ ] الآية . فهذا عين إيقانهم بالآخرة ، وهم المحسنون الموقنون بما ذكر .

وأيضاً ففي كلتا السورتين جملة من الأديان وبدء الخلق[١] .

وذكر في الروم : ﴿ **في روضة يحبرون** ﴾ [ ١٥ ] . وقد فسر بالسماع[٢] . وفي لقمان : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** ﴾ [ ٦ ] . وقد فسر بالغناء ، وآلات الملاهي .

---

(١) سورة الروم ( ٣٠ /٩ ، ١٠ ) ( ٣٠ / ٣٢ ) . وقد ذكر جملة الأديان في لقمان ( ٣١/٦ ) و ( ٣١/ ٢٠ ) وما بعدها كما ذكر بدء الخلق في لقمان ( ٣١/١٠ ) .

(٢) وهو قول يحيى بن أبي كثير . راجع ابن كثير ( ٦ / ٣١٣ ) وتهذيب التهذيب ( ١١/٢٦٨ ) والطبقات الكبرى ( ٥/ ٤٠٤ ) وقد توفي سنة ١٢٩ هـ .

# سورة السجدة

أقول : وجه اتصالها بما قبلها . انها شرحت مفاتح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة لقمان .

فقوله هنا : ﴿ **ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** ﴾ [ ٥ ] . شرح لقوله هناك : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة** ﴾ [ ٣٤ ] . ولذلك عقب هنا بقوله : ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ [ ٦ ] .

وقوله : ﴿ **أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز** ﴾ [ ٢٧ ] . شرح لقوله : ﴿ **وينزل الغيث** ﴾ [ ٣٢ ] .

وقوله : ﴿ **الذي أحسن كل شيء خلقه** ﴾ [ ٧ ] الآيات . شرح لقوله : ﴿ **ويعلم ما في الأرحام** ﴾ [ ٣٤ ] .

وقوله : ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض** ﴾ . و ﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها** ﴾ [ ١٣ ] . شرح لقوله : ﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غداً** ﴾ [ ٣٤ ] .

وقوله : ﴿ **أئذا ضللنا في الأرض** ﴾ إلى قوله : ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم مرجعكم** ﴾ [ ١١ ] شرح لقوله : ﴿ **وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ ،[ ٣٤ ] . فلله الحمد على ما ألهم .

# سورة الأحزاب

أقول : وجه اتصالها بما قبلها : تشابه مطلع هذه ، ومقطع تلك ، فإن تلك ختمت بأمر النبي ﷺ بالإعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم[1] ،[ ومطلع هذه الأمر بتقوى الله ، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين ، فصارت كالتتمة لما خُتمت به تلك ، حتى كأنهما سورة واحدة ] .

(١) قال تعالى : ﴿ فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾ [ ٣٠/٣٢ ] . راجع تفسير الطبري ( ٢١/ ١٠١ ) والقرطبي ( ١٤/ ١٧٤ ، ١٧٥ ) والبحر المحيط ( ٧ / [illegible] ) واللسان ( ١١/ ١٠٨ ، ١٠٩ ) .

# سورة سبأ

أقول : ظهر لي وجه اتصالها بما قبلها ، وهو أن تلك لما خُتمت بقوله : ﴿ **ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات** ﴾ [ ٣٧ ] . افتتحت هذه بأن له ما في السموات وما في الأرض[١] . وهذا الوصف لائق بذلك الحكم ، فإن الملك العام ، والقدرة التامة ، يقتضيان ذلك .

وخاتمة سورة الأحزاب : ﴿ **وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ [ ٧٣ ] . وفاصلة الآية الثانية من مطلع سبأ : ﴿ **وهو الرحيم الغفور** ﴾ [ ٢ ] .

---

(١) وذلك قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة ﴾ [ ٣٤ / ١ ] .

# سورة فاطر

أقول : مناسبة وضعها بعد سبأ . تـآخيهما في الافتتـاح بالحمـد ، مع تناسبهما في المقدار .

وقال بعضهم : افتتاح سـورة فاطـر بالحمـد مناسب لختـام ما قبلهـا ، من قوله : ﴿ **وحيـل بينهم وبين مـا يشتهون كـما فعل بـأشياعهم من قبـل** ﴾ [ ٥٤ ] . كـما قـال : ﴿ **فقـطع دابـر القـوم الـذين ظلمـوا والحمـد لله رب العـالمين** ﴾ [ ٦ . ٤٥ ] . فهـو نـظير اتصـال أول الأنعـام بفصـل القضـاء المختتم به المائدة[١] .

(١) وهو قولـه تعالى : ﴿ **هـذا يوم ينفـع الصادقين صدقهم** ﴾ [ ٥ / ١١٩ ] . وأول الأنعـام هو قوله : ﴿ **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور** ﴾ [ ٦ / ١ ] .

# سورة يس

أقول : ظهر لي وجه اتصالها بما قبلها : أنه لما ذكر في سورة فاطر قوله : ﴿ **وجاءكم النذير** ﴾ [ ٣٧ ] . وقوله : ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير** ﴾ [ ٤٢ ] . والمراد به محمد ﷺ وقد أعرضوا عنه وكذبوه ، فافتتح هذه السورة بالإقسام على صحة رسالته ، وأنه على صراط مستقيم ، لينذر قوماً ما أنذر آباؤهم . وهذا وجه بين .

وفي فاطر : ﴿ **وسخر الشمس والقمر** ﴾ [ ١٣ -١٤ ] الآيتين . وفي يس . ﴿ **والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم** ﴾ [ ٣٨ ، ٣٩ ] . وذلك أبسط وأوضح .

وفي فاطر : ﴿ **وترى الفلك فيه مواخر** ﴾ [ ١٢ ] . وفي يس : ﴿ **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون . وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون** ﴾ [ ٤١ - ٤٣ ] . فزاد القصة بسطاً .

# سورة الصافات

أقول . هذه السورة بعد ( يس ) كالأعراف بعد الأنعام ، وكالشعراء بعد الفرقان ، في تفصيل أحوال القرون المشار إلى إهلاكهم ، كما أن تينك السورتين تفصيل لمثل ذلك كما تقدم .

# سورة ص

أقول : هذه السورة بعد الصافات ، كطس بعد الشعراء ، وكطه والأنبياء بعد مريم ، وكيوسف بعد هود ، في كونها متممة لها بذكر من بقي من الأنبياء ، ممن لم يذكروا فيها ، فإنه سبحانه ذكر في الصافات . نوحاً ، وإبراهيم ، والذبيح ، وموسى ، وهارون ، ولوطاً ، وإلياس ، ويونس . وذكر هنا : داوودْ، وسليمان ، وأيوب ، وأشار إلى بقية من ذكر ، فهي بعدها أشبه شيء بالأنبياء وطس، بعد مريم والشعراء .

# سورة الزمر

لا يخفى وجه اتصال أولها بآخر ( ص ) ، حيث قال في ( ص ) : ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ [ ٨٧ ] . ثم قال هنا : ﴿ **تنزيل الكتاب من الله** ﴾ [ ١ ] . فكأنه قيل : هذا الذكر تنزيل . وهذا تلاؤم شديد ، بحيث أنه لو أسقطت البسملة لالتأمت الآيتان كالآية الواحدة .

وقد ذكر الله تعالى في آخر ( ص ) قصة خلق آدم[1] ، وذكر في صدر هذه قصة خلق زوجه ، وخلق الناس كلهم منه ، وذكر خلقهم في بطون أمهاتهم خلقاً من بعد خلق ، ثم ذكر أنهم ميتون ، ثم ذكر وفاة النوم والموت ، ثم ذكر القيامة ، والحساب ، والجزاء ، والنار ، والجنة . وقال : ﴿ **وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ [ ٧٥ ] .

فذكر أحوال الخلق ، من المبدأ إلى المعاد ، متصلاً بخلق آدم المذكور في السورة التي قبلها .

---

(١) خلق آدم ورد في سورة ص في قوله تعالى : ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾ [ ٣٨ / ٧١ - ٨٥ ] . راجع تفسير القرآن للقرطبي ( ١٥/ ٢٢٧ ) ط . دار الكتب المصرية . .

# سورة غافر

أقول : وجه إيلاء الحواميم السبع[1] سورة الزمر : تآخي المطالع في الافتتاح بتنزيل الكتاب . وفي مصحف أُبي بن كعب : أول الزمر ( حم ) ، وذلك مناسبة جليلة .

ثم إن الحواميم ترتبت لاشتراكها في الافتتاح بـ ( حم ) ، وبذكر الكتاب بعد حم ، وأنها مكية ، بل ورد في الحديث أنها نزلت جملة .

وفيها شبه من ترتيب ذوات ( الر ) الست[2] .

فانظر ثانية الحواميم وهي فصلت ، كيف شابهت ثانية ذوات ( الر ) هود في تغيير الأسلوب في وصف الكتاب . وأن في هود : ﴿ **كتاب أُحكمت آياته ثم فصلت** ﴾ [ ٢ ] . وفي فصلت : ﴿ **كتاب فصلت آياته** ﴾ [ ٢ ] . وفي سائر ذوات ( الر ) ﴿ **تلك آيات الكتاب** ﴾ وفي سائر الحواميم : ﴿ **تنزيل الكتاب** ﴾ أو ﴿ **والكتاب** ﴾ .

وروينا عن جابر بن زيد وابن عباس في ترتيب نزول السور : أن الحواميم نزلت عقب الزمر ، وأنها نزلت متتاليات كترتيبها في المصحف : المؤمن ، ثم السجدة ، ثم الشورى ، ثم الزخرف ، ثم الدخان ، ثم الجاثية ، ثم الأحقاف . ولم يتخللها نزول غيرها ، وتلك مناسبة جلية واضحة في وضعها هكذا .

---

(١) والحواميم السبع هي : غافر ، وفصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية والأحقاف .

(٢) وهي : يونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وابراهيم ، والحجر .

ثم ظهرت لي لطيفة أخرى ، وهي : أنه في كل ربع من أرباع القرآن توالت سبع سور مفتتحة بالحروف المقطعة . فهذه السبع مصدرة بـ ( حم ) . وسبع في الربع الذي قبله ذوات ( الر ) الست متوالية ، و ( المص ) الأعراف ، فإنها متصلة بيونس على ما تقدمت الإشارة اليه . وافتتح أول القرآن بسورتين من ذلك ، وأول النصف الثاني بسورتين .

وقال الكرماني في « العجائب » : ترتيب الحواميم السبع لما بينها من التشاكل الذي خصت به ، وهو : أن كل سورة منها استفتحت بالكتاب أو وصفه ، مع تفاوت المقادير في الطول والقصر ، وتشاكل الكلام في النظام . انتهى .

قلت : وانظر إلى مناسبة ترتيبها ، فإن مطلع غافر مناسب لمطلع الزمر ، ومطلع فصلت التي هي ثانية الحواميم مناسب لمطلع هود ، التي هي ثانية ذوات ( الر ) ومطلع الزخرف مؤاخٍ لمطلع الدخان ، وكذا مطلع الجاثية لمطلع الأحقاف .

## سورة القتال

لا يخفى وجه ارتباط أولها بقوله في آخر الأحقاف : ﴿ **فهل يهلك إلا القوم الفاسقون** ﴾ [ ٣٥ ] . واتصاله وتلاحمه ، بحيث أنه لو أسقطت البسملة منه ، لكان متصلاً إتصالاً لا تنافر فيه ، كالآية الواحدة ، آخذاً بعضه بعنق بعض .

# سورة الفتح

لا يخفى وجه حسن وضعها هنا ، لأن الفتح بمعنى النصر ، مرتب على القتال ، وقد ورد في الحديث : أنها مبينة لما يفعل به وبالمؤمنين ، بعد إبهامه في قوله تعالى في الأحقاف : ﴿ **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم** ﴾ [ ٩ ] . فكانت متصلة بسورة الأحقاف من هذه الجملة .

# سورة الحجرات

لا يخفى تآخي هاتين السورتين [ الفتح والحجرات ] مع ما قبلهما ، لكونهما مدنيتين ، ومشتملتين على أحكام . فتلك فيها قتال الكفار ، وهذه فيها قتال البغاة . وتلك خُتمت بالذين آمنوا ، وهذه افتتحت بالذين آمنوا . وتلك تضمنت تشريفاً له ﷺ ، خصوصاً مطلعها ، وهذه أيضاً في مطلعها أنواع من التشريف له ﷺ .

# سورة الذاريات

أقـول : لما ختمت ( ق ) بـذكـر البعث ، واشتملت عـلى ذكـر الجزاء ، والجنة والنار ، وغير ذلـك من أحوال القيـامة ، افتتـح هذه السـورة بـالإقسـام عـلى أن ما تـوعدون من ذلك لصادق ، وإن الدين ـ وهو الجزاء ـ لواقع .

ونـظير ذلك : افتتـاح المرسـلات بذلـك ، بعد ذكـر الوعـد والـوعيـد والجزاء في سورة الإنسان .

# سورة الطور

أقول : وجه وضعها بعد الذاريات : تشابههما في المطلع والمقطع ، فإن في مطلع كل منهما صفة حال المتقين بقوله : ﴿ إن المتقين في جنات ﴾ [ ١٥ - ١٧ ] الآيات . وفي مقطع كل منهما صفة حال الكفار ، بقوله في تلك : ﴿ فويل للذين كفروا ﴾ [ ٦٠ ] . وفي هذه : ﴿ فالذين كفروا ﴾ [ ٤٢ ] .

# سورة النجم

أقول : وجه وضعها بعد الطور : أنها شديدة المناسبة لها ، فإن الطور خُتمت بقوله : ﴿ **وإدبار النجوم** ﴾ [ ٤٩ ] . وافتتحت هذه بقوله : ﴿ **والنجم إذا هوى** ﴾ [ ١ ] .

ووجه آخر : أن الطور ذكر فيها ذرية المؤمنين ، وأنهم تبع لآبائهم ، وهذه فيها ذكر ذرية اليهود في قوله : ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض** ﴾ [ ٣٢ ] .

ولما قال هناك في المؤمنين : ﴿ **ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء** ﴾ [ ٢١ ] . أي : ما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين ، مع نفعهم بما عمل آباؤهم ، قال هنا في صفة الكفار أو بني الكفار : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ [ ٣٩ ] . خلاف ما ذكر في المؤمنين الصغار .

وهذا وجه بين بديع في المناسبة ، من وادي التضاد .

# سورة القمر

أقول : لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين من حسن التناسق في التسمية ، لما بين النجم والقمر من الملابسة ، ونظيره توالي الشمس والليل والضحى ، وقبلها سورة الفجر .

ووجه آخر ، وهو : أن هذه السورة بعد النجم كالأعراف بعد الأنعام ، وكالصافات بعد يس ، في أنها تفصيل لأحوال الأمم المشار إلى إهلاكهم في قوله هناك : ﴿ **وأنه أهلك عاداً الأولى * وثمود فما أبقى * وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى * والمؤتفكة أهوى** ﴾ [ ٥٠ ـ ٥٣ ] .

# سورة الرحمن

أقول : لما قال سبحانه وتعالى في آخر القمر : ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ﴾ [ ٤٦ ] . ثم وصف حال المجرمين في سقر ، وحال المتقين في جنات ونهر ، فصل هذا الإجمال في هذه السورة أتم تفصيل ، على الترتيب الوارد في الإجمال .

فبدأ بوصف مرارة الساعة ، والإشارة إلى إدهائها ، ثم وصف النار وأهلها ، والجنة وأهلها ، ولذا قال فيهم : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ [ ٤٦ ] . وذلك هو عين التقوى . ولم يقل : لمن آمن وأطاع ، أو نحوه ، لتتوافق الألفاظ في التفصيل والمفصل .

وعرف بذلك أن هذه السورة بأسرها شرح لآخر السورة التي قبلها .

فلله الحمد على ما ألهم وفهّم .

# سورة الواقعة

أقول : هذه السورة متآخية مع سورة الرحمن في أن كلا منهما في وصف القيامة ، والجنة والنار . وانظر إلى اتصال قوله هنا : ﴿ **إذا وقعت الواقعة** ﴾ [ ١ ] بقوله هناك : ﴿ **فإذا آنشقت السماء** ﴾ [ ٣٧ ] . ولهذا اقتصر في الرحمن على ذكر انشقاق السماء ، وفي الواقعة على ذكر رجّ الأرض[١] . فكأن السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة .

ولهذا عكس في الترتيب . فذكر في أول هذه السورة ما ذكره في آخر تلك ، وفي آخر هذه ما في أول تلك ، كما أشرت اليه في سورة آل عمران مع سورة البقرة .

فافتتح الرحمن بذكر القرآن ، ثم ذكر الشمس والقمر ، ثم ذكر النبات ، ثم خلق الإنسان ، والجان من مارج من نار ، ثم صفة القيامة ، ثم صفة النار ، ثم صفة الجنة .

وابتدأ هذه بذكر القيامة ثم صفة الجنة ، ثم صفة النار ، ثم خلق الإنسان ، ثم النبات ، ثم الماء ، ثم النار ، ثم النجوم ، ولم يذكرها في الرحمن ، كما لم يذكر هنا الشمس والقمر ، ثم ذكر القرآن .

فكانت هذه السورة كالمقابلة لتلك ، وكردّ العجز على الصدر .

---

(١) الواقعة ( ٥٦ / ٤ ) راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ١٧/ ١٩٦ ) .

# سورة الحديد

قال بعضهم : وجه اتصالها بالواقعة : أنها قدمت بذكر التسبيح ، وتلك خُتمت بالأمر به .

قلت : وتمامه : أن أول الحديد واقع موقع العلة للأمر به ، وكأنه قيل : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ لأنه ﴿ سبح لله ما في السموات والأرض ﴾ .

# سورة المجادلة

أقـول : لما كـان في مـطلع الحـديـد ذكـر صفـاتـه الجليلة ، ومنهـا : الـظاهر والبـاطن ، وقال : ﴿ **يعلم مـا يلج في الأرض ومـا يخـرج منهـا ومـا ينزل من السماء وما يعرج فيهـا وهو معكم أينـما كنتم** ﴾ [ ٤ ] . افتتح هـذه بذكر أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه ﷺ . وهـذا قالت عـائشة رضي الله عنهـا حين نـزلت : « سبحان الـذي وسـع سمعـه الأصـوات ، إني لفي ناحية البيت لا أعرف ما تقـول » .

وذكر بعد ذلـك قولـه : ﴿ **ألم تر أن الله يعلم مـا في السموات ومـا في الأرض مـا يكون من نجـوى ثلاثـة إلا هو رابعهم** ﴾ [ ٧ ] . وهـو تفصيـل لقوله : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ [ ٤ ] .

وبذلك تعرف الحكمة في الفصل بها بين الحديد والحشر ، مـع تآخيهـما في الافتتاح بـ ﴿ **سبح** ﴾ .

# سورة الحشر

آخر سورة المجادلة نزول فيمن قتل أقرباؤه من الصحابة يوم بدر . وأول الحشر نازل في غزوة بني النضير ، وهي عقبها ، وذلك نوع من المناسبة والربط .

وفي آخر تلك : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي** ﴾ [ ٢١ ] . وفي أول هذه : ﴿ **فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب** ﴾ [ ٢ ] .

وفي آخر تلك ذكر من حاد الله ورسوله ، وفي أول هذه ذكر من شاق الله ورسوله .

# سورة الممتحنة

أقول : لما كانت سورة الحشر في المعاهَدينَ من أهل الكتاب ، عقبت بهذه ، لاشتمالها على ذكر المعاهَدين من المشركين ، لأنها نزلت في صلح الحديبية .

ولما ذكر في الحشر موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً ، ثم موالاة الذين من أهل الكتاب ، افتتح هذه السورة بنهي المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء ، لئلا يشابهوا المنافقين في ذلك ، وكرر ذلك وبسطه ، إلى أن ختم به ، فكانت في غاية الاتصال ، ولذلك فصل بها بين الحشر والصف ، مع تآخيهما في الافتتاح بـ ﴿ **سبح** ﴾ .

# سورة الصف

أقول : في سورة الممتحنة ذكر الجهاد في سبيل الله ، وبسطه في هذه السورة أبلغ بسط

# سورة الجمعة

أقـول : ظهر لي في وجـه اتصالهـا بما قبلهـا : أنـه تعـالى لمـا ذكـر في سورة الصف حال موسى مع قـومه ، وأذاهم لـه ،ناعيـاً عليهم ذلك ، ذكـر في هـذه السورة حـال الرسـول ﷺ ، وفضل أُمتـه ، تشـريفـاً لهم ، ليـظهـر فضل ما بين الأمتين ، ولذا لم يعرض فيها لذكر اليهود .

وأيضاً لما ذكـر هناك قـول عيسى : ﴿ **ومبشراً بـرسول يـأتي من بعدي اسمـه أحمـد** ﴾ [ ٦ ] . قـال هنـا : ﴿ **هـو الـذي بعث في الأميـين رسـولاً منهم** ﴾ [ ٢ ] . إشـارة إلى أنه الـذي بشر بـه عيسى . وهذا وجـه حسن في الربط .

وأيضـاً لما ختم تلك السـورة بالأمـر بالجهـاد وسماه تجـارة ، ختم هذه بالأمر بالجمعة ، وأخبر أنها خير من التجارة الدنيوية .

وأيضـاً : فتلك سـورة الصف ، والصفـوف تشـرع في مـوضعـين : القتال ، والصلاة ، فنـاسب تعقيب سورة صف القتـال بسورة صـلاة تستلزم الصف ضـرورة ، وهي الجماعـة ، لأن الجمـاعـة شـرط فيهـا ، دون سـائـر الصلوات .

فهذه وجوه أربعة فتح الله بها .

# سورة المنافقون

أقول : وجه اتصالها بما قبلها : أن سورة الجمعة ذكر فيها المؤمنون ، وهذه ذكر فيها أضدادهم ، وهم المنافقون . ولهذا أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة يحرض بها المؤمنين ، وبسورة المنافقين يفزع بها المنافقين .

وتمام المناسبة أن السورة التي بعدها فيها ذكر المشركين ، والسورة التي قبل الجمعة فيها ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى . والتي قبلها وهي الممتحنة فيها ذكر المعاهدين من المشركين . والتي قبلها وهي الحشر فيها ذكر المعاهدين من أهل الكتاب ، فإنها نزلت في بني النضير حين نبذوا العهد وقوتلوا .

وبذلك اتضحت المناسبة في ترتيب هذه السور الست هكذا ، لاشتمالها على أصناف الأمم ، وفي الفصل بين المسبحات بغيرها ، لأن إيلاء سورة المعاهدين من أهل الكتاب بسورة المعاهدين من المشركين أنسب من غيره . وإيلاء سورة المؤمنين بسورة المنافقين أنسب من غيره .

فظهر بذلك أن الفصل بين المسبحات التي هي نظائر لحكمة دقيقة من لدن حكيم خبير ، فلله الحمد على ما فهم وألهم .

هذا وقد ورد عن ابن عباس في ترتيب النزول : أن سورة التغابن نزلت عقب الجمعة ، وتقدم نزول سورة « المنافقون » فما فصل بينهما إلا لحكمة والله أعلم .

# سورة التغابن

أقول : لما وقع في آخر سورة المنافقون : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت** ﴾ [ ١٠ ] . الآية . عقب بسورة التغابن ، لأنه قيل في معناه : إن الإنسان يأتي يوم القيامة ، وقد جمع مالاً ، ولم يعمل فيه خيراً ، فأخذه وارثه بسهولة ، من غير مشقة في جمعه ، فأنفقه في وجوه الخير ، فالجامع محاسب معذب مع تعبه في جمعه ، والوارث منعَّم مثاب ، مع سهولة وصوله إليه . وذلك هو التغابن .

فارتباطه بآخر السورة المذكورة في غاية الوضوح . ولهذا قال هنا : ﴿ **وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [ ١٦ ] .

وأيضاً ففي آخر تلك : ﴿ **لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله** ﴾ [ ٩ ] . وفي هذه : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ [ ١٥ ] . وهذه الجملة كالتعليل لتلك الجملة ، ولذا ذكرت على ترتيبها .

وقال بعضهم : لما كانت سورة المنافقون رأس ثلاث وستين سورة ، أشير فيها إلى وفاة النبي ﷺ بقوله : ﴿ **ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها** ﴾ [ ١١ ] . فإنه مات على رأس ثلاث وستين سنة ، وعقبها بالتغابن ، ليظهر التغابن في فقده ﷺ .

# سورة الطلاق

أقول : لما وقع في سورة التغابن : ﴿ **إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم** ﴾ [ ١٤ ] . وكانت عداوة الأزواج تفضي الى الطلاق ، وعداوة الأولاد قد تفضي إلى القسوة ، وترك الإنفاق عليهم ، عقب ذلك بسورة فيها ذكر أحكام الطلاق ، والإنفاق على الأولاد والمطلقات بسببهم .

# سورة التحريم

أقول : هذه السورة متآخية مع التي قبلها بالافتتاح بخطاب النبي ﷺ ، وتلك مشتملة على طلاق النساء ، وهذه على تحريم الإيلاء ، وبينهما من المناسبة ما لا يخفى .

ولما كانت تلك في خصام نساء الأمة ، ذكر في هذه خصومة نساء النبي ﷺ ، إعظاماً لمنصبهن أن يذكرن مع سائر النسوة ، فأفردن بسورة خاصة ، ولهذا ختمت بذكر امرأتين في الجنة : آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران(١) .

---

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ﴾ التحريم [ ٦٦ / ١١ ] . راجع تفسير القرطبي ( ١٨ / ٢٠١ ).

# سورة تبارك

أقـول : ظهر لي بعـد الجهد : أنه لما ذكـر آخر التحـريم امـرأتي نـوح ولـوط الكافـرتين ، وامـرأة فرعـون المؤمنة ، افتتحت هـذه السورة بقـولـه : ﴿ **الـذي خلق الموت والحيـاة** ﴾ [ ٢ ] . مراداً بهـما الكفـر والإيـمـان في أحـد الأقوال ، للإشارة إلى أن الجميع بخلقـه وقدرتـه ، ولهذا كفـرت امرأتـا نوح ولوط ، ولم ينفعهما اتصالهما بهذين النبيين الكـريمين ، وآمنت امـرأة فرعـون ، ولم يضرها اتصالها بهذا الجبار العنيد ، لما سبق في كل من القضاء والقدر .

ووجه آخر ، وهو أن « تبارك » متصـل بقولـه في آخر الـطلاق : ﴿ **الله الـذي خلق سبع سمـوات ومن الأرض مثلهن** ﴾ [ ١٢ ] . فزاد ذلـك بسطاً في هذه الآية : ﴿ **الذي خلق سبع سمـاوات طباقـاً ما تـرى في خلق الرحمن من تفـاوت فأرجـع البصر هـل ترى من فـطور** ﴾ إلى قولـه : ﴿ **ولقد زينـا السـماء الدنيـا بمصـابيـح** ﴾ [ ٣ - ٥ ] . وإنمـا فصلت بسـورة التحـريم لأنها كالتتمة لسورة الطلاق .

# سورة ن

أقول : لما ذكر سبحانه في آخر تبارك التهديد بتغوير الماء[1] ، استظهر عليه في هذه السورة بإذهاب ثمر أصحاب البستان في ليلة يطاف عليه فيها ، وهم نائمون ، فأصبحوا لم يجدوا له أثراً ، حتى ظنوا أنهم ظلوا الطريق[2] . واذا كان هذا في الثمار وهي أجرام كثيفة ، فالماء الذي هو لطيف رقيق أقرب إلى الإذهاب ، ولهذا قال : ﴿ **وهم نائمون * فأصبحت كالصريم** ﴾ [ ١٩ - ٢٠ ] . وقال هناك : ﴿ **إن أصبح ماؤكم غوراً** ﴾ [ ٣٠ ] . إشارة إلى أنه يسري عليه في ليلة كما سرى على الثمرة في ليلة .

---

(١) تغوير الماء : جفافه ، وقد ورد في قوله تعالى : ﴿ **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين** ﴾ [ ٦٧ / ٣٠ ] . راجع تفسير الصابوني ( ٢٩/ ١٥٩١ ) .

(٢) قال تعالى في سورة القلم ( ٦٨/ ١٧ - ٣١ ) : ﴿ **إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة** ﴾ . راجع التفسير الكبير للفخر الرازي ( ٣٠/ ٨٧ ) .

# سورة الحاقة

أقول : لما وقع في « ن » ذكر يوم القيامة مجملاً في قوله : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ [ ٤٢ ] . الآية . شرح ذلك في هذه السورة بناء على هذا اليوم ، وشأنه العظيم .

# سورة سأل

أقول : هذه السورة كالتتمة لسورة الحاقة في بقية وصف يوم القيامة والنار .

وقال ابن عباس : إنها نزلت عقب سورة الحاقة ، وذلك أيضاً من وجوه المناسبة في الوضع .

# سورة نوح

أقول : أكثر ما ظهر في وجه اتصالها بما قبلها بعد طول الفكر أنه سبحانه لما قال في ( سأل ) : ﴿ **إنا لقادرون * على أن نبدل خيراً منهم** ﴾ [ ٤١ ] . عقبه بقصة قوم نوح ، المشتملة على إبادتهم عن آخرهم ، بحيث لم يبق منهم ديار وبدل خيراً منهم ، فوقع الاستدلال لما ختم به تبارك .

هذا مع تآخي مطلع السورتين في ذكر العذاب الموعد به الكافرين .

# سورة الجن

أقول : قد فكرت مدة في وجه اتصالها بما قبلها ، فلم يظهر لي سوى أنه قال في سورة نوح : ﴿ **استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا** ﴾ [ ١٠ - ١١ ] . وقال في هذه السورة : ﴿ **وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا** ﴾ [ ١٦ ] . وهذا وجه بين في الارتباط .

# سورة المزمل

أقول : لا يخفى وجه اتصال أولها : ﴿ **قم الليـل** ﴾ [ ٢ ] . بقولـه في آخـر تلك : ﴿ **وأنه لمـا قام عبـد الله يـدعـوه** ﴾ [ ١٩ ] . وبقـولـه : ﴿ **وأن المساجد لله** ﴾ [ ١٨ ] .

# سورة المدثر

أقول هذه متآخية مع السورة التي قبلها في الافتتاح بخطاب النبي ﷺ ، وصدر كليهما نازل في قصة واحدة .

وقد ذكر عن ابن عباس في ترتيب نزول السور : أن المدثر نزلت عقب المزمل . أخرجه ابن الضريس . وأخرجه غيره عن جابر بن زيد .

# سورة القيامة

أقول : لما قال سبحانه في آخر المدثر : ﴿ **كلا بل لا يخافون الآخرة** ﴾ [ ٥٣ ] . بعد ذكر الجنة والنار ،[ ولما ] كان عدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث ، ذكر في هذه السورة الدليل على البعث ، ووصف يوم القيامة ، وأهواله ، وأحواله ، ثم ذكر ما قبل ذلك من مبدأ الخلق . فذكرت الأحوال في هذه السورة على عكس ما هي في الواقع .

# سورة الانسان

أقول : وجه اتصالها بسورة القيامة في غاية الوضوح . فإنه تعالى ذكر في آخر تلك مبدأ خلق الإنسان من نطفة ، ثم ذكر مثل ذلك في مطلع هذه السورة ، مفتتحاً بخلق آدم أبي البشر .

ولما ذكر هناك خلقه منها ، قال هنا : ﴿ **فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى** ﴾ [ ٣٩ ] . ولما ذكر هناك خلقه منها ، قال هنا : ﴿ **فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾ [ ٢ ] ، فعلق به غير ما علق بالأول ، ثم رتب عليه هداية السبيل ، وتقسيمه إلى شاكر وكفور ، ثم أخذ في جزاء كل .

ووجه آخر ، هو أنه لما وصف حال يوم القيامة في تلك السورة ، ولم يصف فيها حال النار والجنة ، بل ذكرهما على سبيل الإجمال ، فصلهما في هذه السورة ، وأطنب في وصف الجنة ، وذلك كله شرح لقوله تعالى هناك : ﴿ **وجوه يومئذٍ ناضرة** ﴾ [ ٢٢ ] . وقوله هنا : ﴿ **إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا** ﴾ [ ٤ ] . شرح لقوله هناك : ﴿ **تظن أن يُفعل بها فاقرة** ﴾ [ ٢٥ ] .

وقد ذكر هناك : ﴿ **كلا بل يحبون العاجلة * ويذرون الآخرة** ﴾ [ ٢٠ ـ ٢١ ] وذكر هنا في هذه السورة : ﴿ **إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً** ﴾ [ ٢٧ ] . وهذا من وجوه المناسبة .

# سورة المرسلات

أقول : وجه اتصالها بما قبلها . انه تعالى لما أخبر في خاتمتها ، انه : ﴿ **يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً** ﴾ [ ٣١ ] ، افتتح هذه بالقسم على أن ما يوعدون واقع ، فكان ذلك تحقيقاً لما وعد به هناك المؤمنين ، وأوعد الظالمين .

ثم ذكر وقته وأشراطه بقوله : ﴿ **فإذا النجوم طمست** ﴾ [ ٨ ] إلى آخره .

ويحتمل أن تكون الإشارة بما يوعدون إلى جميع ما تضمنته السورة من وعيد للكافرين ، ووعد للأبرار .

# سورة عم

أقول : وجه اتصالها بما قبلها : تناسبها معها في الجمل . ففي تلك : ﴿ ألم نهلك الأولين * ثم نتبعهم الآخرين ﴾ [ ١٧ - ١٨ ] . ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾ [ ٢٠ ] ﴿ ألم نجعل الأرض كفاتاً ﴾ [ ٢٥ ] . إلى آخره . وفي عم : ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً ﴾ [ ٦ ] إلى آخره . فذلك نظير تناسب جمل : ألم نشرح ، والضحى ، بقوله في الضحى : ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾ [ ٦ ] إلى آخره . وقوله : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ [ ١ ] . مع اشتراك هذه السورة والأربع قبلها في الاشتمال على وصف الجنة والنار ، ما عدا المدثر في الاشتمال على وصف يوم القيامة وأهواله ، وعلى ذكر بدء الخلق ، وإقامة الدليل على البعث .

وأيضاً في سورة المرسلات : ﴿ لأي يوم أجلت * ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل ﴾ [ ١٢ - ١٤ ] . وفي هذه السورة : ﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتاً * يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ﴾ [ ١٧ - ١٨ ] ، إلى آخره . فكأن هذه السورة شرح يوم الفصل المجمل [ الذي ] ذكره في السورة التي قبلها .

## سورة عبس

أقول : وجه وضعها عقب النازعات مع تآخيهما في المقطع ، لقوله هناك : ﴿ **فإذا جاءت الطامة** ﴾ [ ٣٤ ] . وقوله هنا : ﴿ **فإذا جاءت الصاخة** ﴾ [ ٣٣ ] . وهما من أسماء يوم القيامة .

# سورة التكوير

أقول : لما ذكر في عبس : ﴿ **فإذا جاءت الصاخة * يوم يفر المرء من أخيه** ﴾ [ **٣٤ ـ ٣٥** ] الآيات . ذكر يوم القيامة كأنه رأي عين . وفي الحديث : « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ و﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ و﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ .

# سورة الانفطار

أقول : قد عـرف مما ذكـرت وجه وضعهـا هنا ، مـع زيادة تـآخيهما في المقطع .

# سورة المطففين

أقول : الفصل بهذه السورة بين الانفطار والانشقاق التي هي نظيرتها من خمسة أوجه : الافتتاح بـ ﴿ **إذا السماء** ﴾ ، والتخلص بـ ﴿ **يا أيها الإنسان** ﴾ ، وشرح حال يوم القيامة ، ولهذا ضمت بالحديث السابق ، والتناسب في المقدار ، وكونها مكية .

وهذه السورة مدنية ، ومفتتحها ومخلّصها غير مالها ، لنكتة ألهمنيها الله . وذلك أن السور الأربع لما كانت في صفة حال يوم القيامة ، ذكرت على ترتيب ما يقع فيه .

فغالب ما وقع في التكوير ، وجميع ما وقع في الانفطار ، وقع في صدر يوم القيامة ، ثم بعد ذلك يكون الموقف الطويل ، ومقاساة العرق والأهوال ، فذكره في هذه السورة بقوله : ﴿ **يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ [ ٦ ] . ولهذا ورد في الحديث : ( يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه )[١] .

ثم بعد ذلك تحصل الشفاعة العظمى ، فتنشر الكتب ، فأخذ باليمن ، وأخذ بالشمال ، وأخذ من وراء الظهر ، ثم بعد ذلك يقع الحساب .

هكذا وردت بهذا الترتيب الأحاديث ، فناسب تأخير سورة الانشقاق

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ( ٦ / ٢٠٨ ) عن ابن عمر .

التي فيها إتيان الكتب والحساب ، عن السورة التي قبلها ، والتي فيها ذكر الموقف عن التي فيها مبادىء يوم القيامة .

ووجه آخر ، وهو : أنه جل جلاله لما قال في الانفطار : ﴿ وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين ﴾[1] [ ١١ - ١٢ ] . وذلك في الدنيا ، ذكر في هذه السورة حال ما يكتبه الحافظان ، وهو : كتاب مرقوم جعل في عليين ، أو في سجين ، وذلك أيضاً في الدنيا ، لكنه عقَّب بالكتابة ، إما في يومه ، أو بعد الموت في البرزخ كما في الآثار . فهذه حالة ثانية في الكتاب ذكرت في السورة الثانية .

وله حالة ثالثة متأخرة فيها ، وهي أخذ صاحبه باليمين أو غيرها ، وذلك يوم القيامة ، فناسب تأخير السورة التي فيها ذلك ، عن السورة التي فيها الحالة الثانية ، وهي الانشقاق ، فلله الحمد على ما منَّ بالفهم لأسرار كتابه .

ثم رأيت الإمام فخر الدين قال في سورة المطففين أيضاً : اتصال أولها بآخر ما قبلها ظاهر ، لأنه تعالى بيَّن هناك أن يوم القيامة من صفته : ﴿ لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذٍ لله ﴾ . وذلك يقتضي تهديداً عظيماً للعصاة ، فلهذا أتبعه بقوله : ﴿ ويل للمطففين ﴾ الآيات .

---

(١) راجع تفسير هذه الآية في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ١٩/ ٢٤٥ ) . بتصرف .

# سورة الانشقاق

قد استوفي الكلام فيها في سورة المطففين .

# سورتا البروج والطارق

أقول : هما متآخيتان فقرنتا ، وقدمت الأولى لطولها ، وذُكرتا بعد الانشقاق للمؤاخاة في الافتتاح بذكر السماء ، ولهذا ورد في الحديث ذكر السموات مراداً بها السور الأربع[1] ، كما قيل : المسبحات .

(١) أخرجه أحمد في مسنده ( ٢ / ٣٢٧ ) أن النبي ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء .
والسموات : السور الأربع المفتتحة بذكر السماء .

# سورة الأعلى

أقـول : في سورة الـطارق ذكر خلق [ النبـات ] والإنسـان في قـولـه : ﴿ **والأرض ذات الصـدع** ﴾ [ ١٢ ] . [ وقـولــه : ﴿ **فلينـظر الإنســان مم خلق** ﴾ إلى ﴿ **إنـه على رجعـه لقادر** ﴾ [ ٦ - ٨ ] ]. وذكـره في هذه السـورة في قـوله : ﴿ **خلق فسـوى** ﴾ [ ٢ ] . وقولـه في النبـات :﴿ **والـذي أخـرج المـرعى * فجعله غثـاء أحــوى** ﴾[1] [ ٣ - ٤ ] . وقصـة النبــاتِ في هـذه السـورة أبسط ، كـما أن قصـة الإنسـان هنــاك أبسط . نعم ، مـا في هــذه السورة أعم ، من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات .

---

(١) راجع التسهيل لعلوم التنزيل ( ٤/ ١٩٣ ) وروح المعاني للألوسي ( ٣٠ / ١٠٤ ) .

# سورة الغاشية

أقول : لما أشار سبحانه في سورة الأعلى بقوله : ﴿ **سيذَّكر من يخشى * ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى** ﴾ إلى قوله : ﴿ **والآخرة خير وأبقى** ﴾ [ ١٠ - ١٧ ] . إلى المؤمن والكافر ، والنار والجنة إجمالاً ، فصل ذلك في هذه السورة . فبسط صفة النار والجنة مستندة إلى أهل كل منهما ، على نمط ما هنالك ، ولذا قال [ هنا ] : ﴿ **عاملة ناصبة** ﴾ [ ٣ ] . في مقابل : ﴿ **الأشقى** ﴾ [ ١٠ ] [ هناك ] . وقال [ هنا ] : ﴿ **تصلى ناراً حامية** ﴾ [ ٤ ] إلى : ﴿ **لا يسمن ولا يغني من جوع** ﴾ [ ٧ ] . في مقابلة : ﴿ **يصلى النار الكبرى** ﴾ [ ١٢ ] [ هناك ] . ولما قال [ هناك ] في الآخرة : ﴿ **خير وأبقى** ﴾ [ ١٦ ] . بسط [ هنا ] صفة الجنة أكثر من صفة النار ، تحقيقاً لمعنى الخيرية .

# سورة الفجر

أقـول : لم يظهـر لي من وجه ارتبـاطها سـوى أن أولها كـالإقسام عـلى صحـة ما ختم بـه السورة التي قبلهـا ، من قولـه جـل جـلالـه : ﴿ **إن إلينـا إيابهم * ثم إن علينا حسـابهم** ﴾ [ ٢٥ ـ ٢٦ ] . وعلى مـا تضمنه من الـوعد والـوعيـد . كـما أن أول الـذاريـات قسم عـلى تحقيق مـا في ( ق ) ، وأول المرسلات قسم على تحقيق ما في ( عم ) .

هـذا مع أن جملة ﴿ **ألم تـر كيف فعـل ربـك** ﴾ [ ٦ ] هنـا ، مشـابهـة لجملة ﴿ **أفلا ينظرون** ﴾ [ ١٧ ] هناك .

# سورة البلد

أقول : وجه اتصالها بما قبلها . انه لما ذم فيها من أحب المال ، وأكثر التراث ، ولم يحض على طعام المسكين ، ذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال ، من فك الرقبة ، والإطعام في يوم ذي مسغبة[1] .

---

(١) المسغبة : المجاعة .

# سور : الشمس والليل والضحى

أقول : هذه الثلاث حسنة التناسق جداً ، لما في مطالعها من المناسبة ، لما بين الشمس والليل والضحى من الملابسة ، ومنها سورة الفجر ، لكن فصلت بسورة البلد لنكتة أهم ، كما فصل بين الانفطار والانشقاق وبين المسبحات ، لأن مراعاة التناسب بالأسماء والفواتح وترتيب النزول ، إنما يكون حيث لا يعارضها ما هو أقوى وآكد[1] في المناسبة .

ثم إن سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد ، فإنه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ، أراد الفريقين في سورة الشمس على سبيل الفذلكة . فقوله [ في الشمس ] : ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ [ ٩ ] . هم أصحاب الميمنة في سورة البلد ، وقوله : ﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾ [ ١٠ ] [ في الشمس ] ، هم أصحاب المشأمة في سورة البلد ، فكانت هذه السورة فذلكة تفصيل تلك السورة : ولهذا قال الإمام : المقصود من هذه السورة : الترغيب في الطاعات ، والتحذير من المعاصي .

ونزيد في سورة الليل : أنها تفصيل إجمال سورة الشمس ، فقوله : ﴿ **فأما من أعطى وأتقى** ﴾ [ ٥ ] وما بعدها ، تفصيل ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ . وقوله : ﴿ **وأما من بخل واستغنى** ﴾ [ ٨ ] الآيات ، تفصيل قوله : ﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾ .

---

(١) آكد : أكثر تأكيداً .

ونزيد في سورة الضحى : أنها متصلة بسورة الليـل من وجهين . فـإن فيهـا : ﴿ **وإن لنا لـلآخرة والأولى** ﴾ [ ١٣ ] . وفي الضحى : ﴿ **ولـلآخـرة خير لك من الأولى** ﴾ [ ٤ ] . وفي الليـل : ﴿ **ولسوف يـرضى** ﴾ [ ٢١ ] . وفي الضحى : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ [ ٥ ] .

ولمـا كانت سـورة الضحى نازلـة في شأنـه ﷺ ، افتتحت بـالضحى ، الذي هو نور . ولما كانت سورة الليـل سورة أبي بكـر ، يعني : ما عـدا قصة البخيـل ، وكانت سـورة الضحى سورة محمـد ، عقب بها ، ولم يجعـل بينهـما واسطة ، ليعلم ألا واسطة بين محمد وأبي بكر .

# سورة ألم نشرح

أقول : هي شديدة الاتصال بسورة الضحى ، لتناسبهما في الجمل ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما[1] . قال الإمام : والذي دعاهم إلى ذلك هو : أن قوله : ﴿ ألم نشرح ﴾ كالعطف على : ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾ [ ٦ ] [ في الضحى ] .

قلت : وفي حديث الإسراء أن الله تعالى قال : « يا محمد ، ألم أجدك يتيماً فآويت ، وضالاً فهديت ، وعائلاً فأغنيت ، وشرحت لك صدرك ، وحططت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت » الحديث . أخرجه ابن أبي حاتم . وفي هذا أوفى دليل على اتصال السورتين معنى .

---

(١) راجع مختصر ابن كثير ( ٣/ ٦٥٢ ) والبحر المحيط لأبي حيان ( ٨ / ٤٨٧ ) .

# سورة التين

أقول : لما تقدم في سورة الشمس : ﴿ **ونفس وما سواها** ﴾ [ ٣ ] . فصل في هذه السورة بقوله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين** ﴾ [ ٤ - ٥ ] إلى آخره .

وأخرت هذه السورة لتقدم ما هو أنسب بالتقديم من السور الثلاث ، واتصالها بسورة البلد لقوله : ﴿ **وهذا البلد الأمين** ﴾ [ ٣ ] . وأخرت لتقدم ما هو أولى بالمناسبة مع سورة الفجر .

## لطيفة :

نقل الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري في « لطائف المنن » عن الشيخ أبي العباس المرسي ، قال : قرأت مرة : ﴿ **والتين والزيتون** ﴾ إلى أن انتهيت إلى قوله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين** ﴾[1] [ ٤ - ٥ ] . ففكرت في معنى هذه الآية ، فألهمني الله أن معناها[2] : لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم روحاً وعقلاً ، ثم رددناه أسفل سافلين نفساً وهوى .

قلت : فظهر من هذه المناسبة وضعها بعد ﴿ **ألم نشرح** ﴾ . فإن تلك أخبر فيها عن شرح صدر النبي ﷺ ، وذلك يستدعي كمال عقله وروحه ، فكلاهما في القلب الذي محله الصدر ، وعن خلاصه من الوزر

---

(١) راجع جامع البيان للطبري ( ٣٠/ ١٥٦ ) وما بعدها ، والقرطبي ( ٢٠/ ١١٥ ) ط . دار الكتب ، والدر المنثور ( ٦/ ٣٦٧ ) .

(٢) وهذا من اجتهاد المؤلف رحمه الله .

الـذي ينشأ من النفس والهـوى ، وهو معصـوم منهـما ، وعن رفـع الـذكـر ، حيث نزه مقامه عن كُل مُوهم .

فلما كـانت هـذه السـورة في هـذا العَلَم الفـرد من الإنسـان ، أعقبهـا بسـورة مشتملة على بقيـة الأنـاسي ، وذكـر مـا خـامـرهم في متـابعـة النفس والهوى .

# سورة العلق

أقول : لما تقدم في سورة التين بيان خلق الإنسان في أحسن تقويم ، بين هنا أنه تعالى : ﴿ **خلق الإنسان من علق** ﴾[1] [ ٢ ] . وذلك ظاهر الاتصال ، فالأول بيان العلة الصورية ، وهذا بيان العلة المادية .

(١) راجع تفسير البحر المحيط ( ٨ / ٤٩١ ) والجامع لأحكام القرآن ( ١٩/ ١١٩ ) وما بعدها والألوسي في روح المعاني ( ٣٠/ ١٨٨ ) .

# سورة القدر

قال الخطابي : لما اجتمع اصحاب النبي ﷺ على القرآن ، ووضعوا سورة القدر عقب العلق ، استدلوا بذلك على أن المراد بهاء الكناية في قوله : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾[1] [ ١ ] . الإشارة إلى قوله : ﴿ إقرأ ﴾ .

قال القاضي أبو بكر بن العربي [2]: وهذا بديع جداً .

---

(١) راجع تفسير القرطبي ( ٢٠/ ١٢٩ ) ط . دار الكتب المصرية . .

(٢) أبو بكر بن العربي : هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي ، أبو بكر ابن العربي : قاص ، من حفاظ الحديث ، ولد في إشبيلية ، ورحل إلى المشرق ، وبرع في الأدب ، وبلغ رتبة المجتهدين ، وكان فقيهاً حافظاً أصولياً مؤرخاً ، أديباً ، ولي قضاء إشبيلية ، ومات بقرب مدينة فاس ، ودُفن فيهاسنة ٥٤٣ هـ . وهو آخر قضاة الأندلس وعلمائها وأئمتها .

راجع طبقات الحفاظ للسيوطي ، ونفح الطيب ( ١/ ٣٤٠ ) ووفيات الأعيان لابن خلكان ( ١/ ٤٨٩ ) وقضاة الأندلس ( ١٠٥ ) ، والوافي بالوفيات ( ٣/ ٣٠ ) .

# سورة لم يكن

أقـول : هـذه السـورة واقعـة مـوقـع العلة لمـا قبلهـا ، كـأنـه لمـا قـال سبحـانه : ﴿ **إنـا أنزلنـاه** ﴾ [ ١ ] . قيـل : لم أنـزل ؟ فقيـل : لأنـه لم يكن الذين كفروا منفكـين عن كفرهم ، حتى تـأتيهم البينة ، وهـو رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة . وذلك هو المنزَّل .

وقد ثبتت الأحاديث بأنه كان في هذه السورة قرآن نُسـخ رسمه وهـو : إنا أنزلنـا المال لإقـامة الصـلاة وإيتاء الـزكاة ، ولـو أن لابن آدم وادياً لابتغى اليـه الثاني ، ولـو أن له الثـاني لابتغى إليه الثـالث ، ولا يملأ جـوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب .

وبـذلك تشتـد المناسبـة بين هـذه السورة وبـين ما قبلهـا ، حيث ذكـر هنـاك إنزال المال ، وتكـون السـورتان تعليـلاً لما تضمنتـه سورة اقـرأ ، لأن أولهـا ذكر العلم ، وفي أثنائهـا ذكـر المـال . فكـأنـه قيـل : إنـا لم ننـزل المـال للطغيان والاستطالة والفخر ، بـل ليستعان بـه على تقـوانا ، وإقـامة الصـلاة وإيتاء الزكاة .

# سورة الزلزلة

أقول : لما ذكر في آخر ﴿ **لم يكن** ﴾ أن جزاء الكافرين جهنم ، وجزاء المؤمنين جنات ، فكأنه قيل : متى يكون ذلك ؟ فقيل : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ [ ١ ] . أي [ حين ] تكون زلزلة الأرض ، إلى آخره .

هكذا ظهر لي ، ثم لما راجعت تفسير الإمام الرازي ، ورأيته ذكر نحوه حمدت الله كثيراً . وعبارته : ذكروا في مناسبة هذه السورة لما قبلها وجوهاً منها : أنه تعالى لما قال : ﴿ **جزاؤهم عند ربهم جنات عدن** ﴾ [ ٨ ] . فكأن المكلف قال : ومتى يكون ذلك يا رب ؟ فقال : ﴿ **إذا زلزلت الأرض** ﴾ .

ومنها : أنه لما ذكر فيها وعيد الكافرين ، ووعد المؤمنين ، أراد أن يزيد في وعيد الكافرين فقال : ﴿ **إذا زلزلت الأرض** ﴾ . ونظيره : ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** ﴾ . ثم ذكر ما للطائفتين فقال : ﴿ **فأما الذين اسودت وجوههم** ﴾ إلى آخره . ثم جمع بينهما هنا في آخر السورة بذكر الذي يعمل الخير والشر . انتهى .

# سورة العاديات

أقول : لا يخفى ما بين قوله في الزلزلة : ﴿ **أخرجت الأرض أثقالها** ﴾ [ ٢ ] . وقوله في هذه السورة : ﴿ **إذا بعثر ما في القبور** ﴾ [ ٩ ] . من المناسبة والعلاقة .

# سورة القارعة

قال الإمام : لما ختم الله سبحانه السورة السابقة بقوله : ﴿ إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير ﴾ [ ١١ ] . فكأنه قيل : وما ذاك ؟ فقال : هي القارعة . قال : وتقديره ستأتيك القارعة على ما أخبرت عنه بقولي : ﴿ إذا بعثر ما في القبور ﴾ [ ٩ ] .

# سورة التكاثر

أقول : هذه السورة واقعة موقع العلة لخاتمة ما قبلها ، كأنه لما قال هناك : ﴿ **فأمه هاوية** ﴾ [ ٩ ] . قيل : لِمَ ذلك ؟ فقال : لأنكم ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ [ ١ ] . فاشتغلتم بدنياكم ، وملأتم موازينكم بالحطام ، فخفت موازينكم بالآثام ، ولهذا عقبها بسورة العصر ، المشتملة على أن الإنسان في خُسر ، بيان لخسارة تجارة الدنيا ، وربح تجارة الآخرة ، ولهذا عقبها بسورة الهَمزة ، المتوعَّد فيها مَن جمع مالاً وعدّده ، يحسب أن ماله أخلده . فانظر إلى تلاحم هذه السور الأربع ، وحسن اتساقها .

# سورة الفيل

ظهر لي في وجه اتصالها بعد الفكرة : انه تعالى لما ذكر حال الهمزة اللُّمزة ، الذي جمع مالاً وعدّه ، وتعزز بماله وتقوّى ، عقب ذلك بذكر قصة أصحاب الفيل ، الذين كانوا أشد منهم قوة ، وأكثر أموالاً وعتُواً ، وقد جعل كيدهم في تضليل ، وأهلكهم بأصغر الطير وأضعفه ، وجعلهم كعصف مأكول ، ولم يغن عنهم مالهم ولا عزهم ولا شوكتهم ، ولا فيلهم شيئاً .

فمن كان قصارى تعزُّزه وتقويه بالمال ، وهَمز الناس بلسانه ، أقرب إلى الهلاك ، وأدنى الى الذلة والمهانة .

# سورة قريش

هي شديدة الاتصال بما قبلها ، لتعلق الجار والمجرور في أولها بالفعل في آخر تلك . ولهذا كانتا في مصحف أُبيٍّ سورة واحدة[1] .

(١) وقد نقله السيوطي عن السخاوي في كتاب ( جمال القراء ) عن جعفر الصادق ، وأبي نهيك.وقال :ويرداه إلى ماأخرجه الحاكم والطبراني من حديث أم هانىء أن رسول الله ﷺ قال : فضل الله قريشاً بسبع . . . وان الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم : لإيلاف قريش . ومع ذلك فإن صلة قريش بالفيل قائمة . . فكان ما فعل الله بأصحاب الفيل كن ﴿لإيلاف قريش﴾ولتأمين طريق تجارتهم في رحلتي الشتاء والصيف .وقد كان من أهداف أبرهة السياسية حرمان قريش من تجارتهم هذه . من حاشية المطبوعة ، بتصرف .

# سورة الماعون

أقول : لما ذكر تعالى في سورة قريش : ﴿ **الذي أطعمهم من جوع** ﴾ [ ٤ ] . ذكر هنا ذم من لم يُحض على طعام المسكين .

ولما قال هناك : ﴿ **فليعبدوا رب هذا البيت** ﴾ [ ٣ ] . ذكر هنا من سها عن صلاته[1] .

(١) ومن أخطر ما نلفت النظر اليه في هذه الآية تسمية الحق تبارك وتعالى مانع العون مكذباً بالدين ، مبالغة في إهانته ، وهذه السورة جميعها تسير مع الخط الذي يبدأ من سورة الزلزلة ، وهي ترشد الى طريق الإنفاق الصحيحة للمال ، وبذله في الوجوه المشروعة .

# سورة الكوثر

قال الإمام فخر الدين : هي كالمقابلة للتي قبلها ، لأن السابقة وصف الله سبحانه فيها المنافقين بأربعة أمور : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة . وذكر في هذه السورة في مقابلة البخل : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ [ ١ ] . أي : الخير الكثير . وفي مقابلة ترك الصلاة . ﴿ **فصَلِّ** ﴾ [ ٢ ] . أي : دُم عليها . وفي مقابلة الرياء : ﴿ **لربك** ﴾ [ ٢ ] . أي : لرضاه ، لا للناس . وفي مقابلة منع الماعون : ﴿ **وانحر** ﴾ [ ٢ ] . وأراد به : التصدق بلحوم الأضاحي . قال : فاعتبر هذه المناسبة العجيبة .

# سورة الكافرون

أقول : وجه اتصالها بما قبلها : أنه تعالى لما قال : ﴿ **فصل لربك** ﴾ أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربه ، ولا يعبد ما يعبدون ، وبالغ في ذلك فكرر ، وانفصل منهم على أن لهم دينهم وله دينه .

# سورة النصر

أقول : وجه اتصالها بما قبلها : أنه قال في آخر ما قبلها : ﴿ ولي دين ﴾ . فكان فيه إشعار بأنه خلص له دينه ، وسلم من شوائب الكفار والمخالفين ، فعقب ببيان وقت ذلك ، وهو مجيء الفتح والنصر ، فإن الناس حين دخلوا في دين الله أفواجاً ، فقد تم الأمر ، وذهب الكفر ، وخلص دين الإسلام ممن كان يناوئه ، ولذلك كانت السورة إشارة إلى وفاته ﷺ[1] . .

وقال الإمام فخر الدين : كأنه تعالى يقول : لما أمرتك في السورة المتقدمة بمجاهدة جميع الكفار ، بالتبري منهم ، وإبطال دينهم ، جزيتك على ذلك بالنصر والفتح ، وتكثير الاتباع .

قال : ووجه آخر ، وهو : أنه لما أعطاه الكوثر ، وهو : الخير الكثير ، ناسب تحميله مشقاته وتكاليفه ، فعقبها بمجاهدة الكفار ، والتبري منهم . فلما امتثل ذلك أعقبه بالبشارة بالنصر والفتح ، وإقبال الناس أفواجاً الى دينه ، وأشار إلى دنوّ أجله ، فإنه ليس بعد الكمال إلا الزوال .

* توقع زوالاً إذا قيل تم *

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ( ٦/ ٢٢٠ ، ٢٢١ ) .

# سورة تبت

قال الإمام : وجه اتصالها بما قبلها : أنه لما قال : ﴿ **لكم دينكم ولي دينِ** ﴾ [ ٦ ] : فكأنه قيل : إلهي ، وما جزائي ؟ فقال الله له : النصر والفتح . فقال : وما جزاء عمي الذي دعاني إلى عبادة الأصنام ؟ فقال : ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾ [ ١] الآيات .

وقدم الوعد على الوعيد ليكون النصر معللاً بقوله : ﴿ **ولي دين** ﴾ . ويكون الوعيد راجعاً إلى قوله : ﴿ **لكم دينكم** ﴾ . على حد قوله : ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم** ﴾ .

قال : فتأمل في هذه المجانسة الحافلة بين هذه السور ، مع أن سورة النصر من أواخر ما نزل بالمدينة ، والكافرون وتبت من أوائل ما نزل بمكة ، ليعلم أن ترتيب هذه السور من الله ، وبأمره .

قال : ووجه آخر ، وهو : أنه لما قال :﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ كأنه قيل : يا إلهي ، ما جزاء المطيع ؟ قال : حصول النصر والفتح . فقيل : وما ثواب العاصي؟ قال : الخسارة في الدنيا ، والعقاب في العقبى [١] ، كما دلت عليه سورة تبَّت .

---

(١) العقبى : الاخرة .

# سورة الاخلاص

قال بعضهم : وضعت ههنا للوزان في اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة تبَّت .

وأقول : ظهر لي هنا غير الوزان في اللفظ : أن هذه السورة متصلة بـ ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ في المعنى . ولهذا قيل : من أسمائها أيضاً الإخلاص . وقد قالوا : إنها اشتملت على التوحيد[١] ، وهذه أيضاً مشتملة عليه . ولهذا قرن بينهما في القراءة في الفجر ، والطواف ، والضحى ، وسنة المغرب ، وصبح المسافر ، ومغرب ليلة الجمعة[٢] .

وذلك أنه لما نفي عبادة ما يعبدون ، صرح هنا بلازم ذلك ، وهو أن معبوده أحد ، وأقام الدليل عليه بأنه صمد ﴿ **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ ولا يستحق العبادة إلا من كان كذلك، وليس في معبوداتهم ما هو كذلك .

وإنما فصل بين النظيرتين بالسورتين[٣] لما تقدم من الحكمة ، وكأن إيلاءها سورة تبت ورد عليه بخصوصه .

---

(١) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي ( ٣١/ ١٧٥ ) والبحر المحيط ( ٨ / ٥٢٧ ) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٢٠/ ٢٤٣ ) ط . دار الكتب .

(٢) راجع مجمع الزوائد للهيثمي ( ٢/ ١٢٠ ) والمطالب العالية ( ٣/ ٣٩٨ ) وما بعدها .

(٣) أي بين سورتي الكافرين والإخلاص ، وسورتي النصر وتبت .

# سورتا الفلق والناس

أقول : هاتان السورتان نزلتا معاً ، كما في الدلائل للبيهقي . فلذلك قُرنتا ، مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذتين ، ومن الافتتاح بقل أعوذ ، وعقب بهما سورة الإخلاص ، لأن الثلاث سميت في الحديث بالمعوذات ، وبالقوافل .

وقدمت الفلق على الناس ـ وإن كانت أقصر منها ـ لمناسبة مقطعها في الوزان لفواصل الإخلاص مع مقطع تبت .

وهذا آخر ما منَّ الله به عليَّ من استخراج مناسبات ترتيب السور ، وكله من مستنبطاتي[1] ، ولم أعثر فيه على شيء لغيري إلا النزر اليسير الذي صرحت بعزوي له ، فلله الحمد على ما ألهم ، والشكر على ما منَّ به وأنعم ، سبحانك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

ثم رأيت الإمام فخر الدين[2] ذكر في تفسيره كلاماً لطيفاً في مناسبات هذه السور ، فقال في سورة الكوثر :

اعلم أن هذه السورة كالمتممة لما قبلها من السور ، وكالأصل لما بعدها .

---

(١) أي من مستنبطات الإمام السيوطي .

(٢) هو الإمام الفخر الرازي ، واسمه محمد بن عمبر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي ، الإمام المفسر ، وهو وحيد زمانه ، ويتيم عصره قرشي النسب ، أصله من طبرستان ، وولد في الري ، واليها انتسب توفي سنة ٦٠٦ هـ . راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ( ١/ ٤٧٤ ) وابن الوردي ( ٢/ ١٢٧ ) وآداب اللغة ( ٣/ ٩٤ ) ولسان الميزان ( ٤/ ٤٢٦ ) .

أما الأول ، فلأنه تعالى جعل سورة الضحى في مدح النبي ﷺ ، وتفصيل أحواله ، فذكر في أولها ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته . ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ [ ٣ - ٥ ] . ثم ختمها بثلاثة أحوال من أحواله فيما يتعلق بالدنيا : ﴿ **ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ [ ٦ - ٨ ] .

ثم ذكر في سورة ﴿ **ألم نشرح** ﴾ أنه شرفه بثلاثة أشياء : شرح الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكر .

ثم شرفه في سورة التين بثلاثة أشياء أنواع : أقسم ببلده ، وأخبر بخلاص أمته من الناس بقوله: ﴿ **إلا الذين آمنوا** ﴾ [ ٦ ] . ووصولهم إلى الثواب بقوله : ﴿ **فلهم أجر غير ممنون** ﴾ [ ٦ ] .

وشرّفه في سورة إقرأ بثلاثة أنواع : ﴿ **إقرأ باسم ربك** ﴾ . وقهر خصمه بقوله : ﴿ **فليدع ناديه * سندع الزبانية** ﴾ [ ١٨ ] . وتخصيصه بالقرب في قوله : ﴿ **واسجد واقترب** ﴾ [ ١٩ ] .

وشرفه في سورة القدر بليلة القدر ، وفيها ثلاثة أنواع من الفضيلة : كونها خيراً من ألف شهر ، وتنزل الملائكة والروح فيها ، وكونها سلاماً حتى مطلع الفجر .

وشرفه في ( لم يكن ) بثلاثة أشياء : أنهم خير البرية ، وجزاؤهم جنات ، ورضي عنهم .

وشرفه في الزلزلة بثلاثة أنواع : إخبار الأرض بطاعة أُمته ، ورؤيتهم أعمالهم ، ووصولهم إلى ثوابها حتى وزن الذرة .

وشرفه في العاديات بإقسامه بخيل الغزاة من أُمته ، ووصفها بثلاث صفات .

وشرفه في القارعة بثقل موازين أُمته ، وكونه في عيشة راضية ، ورؤ يتهم أعداءهم في نار حامية .

وفي ألهاكم التكاثر ، عدد المعرضين عن دينه بثلاثة : يرون الجحيم ، ثم يرونها عين اليقين ، ويسألون عن النعيم .

وشرفه في سورة العصر بمدح أُمته بثلاث : الإيمان ، والعمل الصالح ، وإرشاد الخلق إليه ، وهو : التواصي بالحق والصبر .

وشرفه في سورة الهمزة بوعيد عدوه بثلاثة أشياء : ألا ينتفع بدنياه ، ويعذبه في الحطمة ، ويغلق عليه .

وشرفه في سورة الفيل بأن رد كيد عدوه بثلاث : بأن جعله في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، وجعلهم كعصف مأكول .

وشرفه في سورة قريش بثلاث : تألف قومه ، وإطعامهم ، وأمنهم .

وشرفه في الماعون بذم عدوه بثلاث : الدناءة ، واللؤم في قوله : ﴿ **فذلك الذي يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين** ﴾ [ ٢ - ٣ ] . وترك تعظيم الخالق في قوله : ﴿ **فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون** ﴾ [ ٤ - ٦ ] . وترك نفع الخلق في قوله : ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾ [ ٦ ] .

فلما شرفه في هذه السور بهذه الوجوه العظيمة قال : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ . أي : هذه الفضائل المتكاثرة المذكورة في هذه السور ، التي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها ، فاشتغل أنت بعبادة ربك ، إما بالنفس ، وهو قوله : ﴿ **فصل لربك** ﴾ وإما بالمال ، وهو قوله ﴿ **وانحر** ﴾ وإما بإرشاد العباد إلى الأصلح ، وهو قوله : ﴿ **قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون** ﴾ . الآيات . فثبت أن هذه السورة كالمتممة لما قبلها .

وأما كونها كالأصل لما بعدها فهو : أنه تعالى يأمره بعد هذه أن يكف عن أهل الدنيا جميعاً بقوله : ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ . إلى آخر السورة . ويبطل أذاهم ، وذلك يقتضي نصرهم على أعدائهم ، لأن الطعن على الإنسان في دينه أشد عليه من الطعن في نفسه وزوجه ، وذلك مما يجبن عنه كل أحد من الخلق ، فإن موسى وهارون أرسلا إلى فرعون واحد فقالا : ﴿ **إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى** ﴾ [ ٢٠ : ٤٥ ] . ومحمد ﷺ مرسل إلى الخلق جميعاً ، فكان كل واحد من الخلق كفرعون بالنسبة إليه . فدبر الله في إزالة الخوف الشديد تدبيراً لطيفاً ، بأن قدم هذه السورة ، وأخبر فيها بإعطائه الخير الكثير ، ومن جملته أيضاً : الرئاسة ، ومفاتيح الدنيا ، فلا يلتفت إلى ما بأيديهم من زهرة الدنيا ، وذلك أدعى إلى مجاهدتهم بالعداوة ، والصدع بالحق ، لعدم تطلعه إلى ما بأيديهم .

ثم ذكر بعد سورة الكافرين سورة النصر ، فكأنه تعالى يقول : وعدتك بالخير الكثير ، وإتمام أمرك ، وأمرتك بإبطال أديانهم ، والبراءة من معبوداتهم ، فلما امتثلت أمري أنجزت لك الوعد بالفتح والنصر ، وكثرة الاتباع ، بدخول الناس في دين الله أفواجاً .

ولما تم أمر الدعوة والشريعة ، شرع في بيان ما يتعلق بأحوال القلب والباطن .

وذلك أن الطالب إما أن يكون طلبه مقصوراً على الدنيا ، فليس له إلا الذل والخسارة والهوان ، والمصير إلى النار ، وهو المراد من سورة تبت . وإما أن يكون طالباً للآخرة ، فأعظم أحواله أن تصير نفسه كالمرآة التي تنتقش فيها صور الموجودات .

وقد ثبت أن طريق الخلق في معرفة الصانع على وجهين : منهم من قال : أعرف الصانع ، ثم أتوسل بمعرفته إلى معرفة مخلوقاته ، وهذا هو الطريق الأشرف ، ومنهم من عكس ، وهو طريق الجمهور .

ثم إنه سبحانه ختم كتابه المكرم بتلك الطريقة التي هي أشرف . فبدأ بذكر صفات الله ، وشرح جلاله ، في سورة الإخلاص . ثم أتبعه بذكر مراتب مخلوقاته في الفلق ، ثم ختم بذكر مراتب النفس الإنسانية في الناس ، وعند ذلك ختم الكتاب . فسبحان من أرشد القول الى معرفة هذه الأسرار الشريفة في كتابه المكرم . هذا كلام الإمام .

ثم قال في سورة الفلق : سمعت بعض العارفين يقول : لما شرح الله سبحانه أمر الإلهية في سورة الإخلاص ، ذكر هاتين السورتين عقبها في شرح مراتب الخلق على ما قال : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ .

فعالم الأمر كله خيرات محضة ، بريئة عن الشرور والآفات ، أما عالم الخلق فهو الأجسام الكثيفة ، والجثمانيات . فلا جرم قال في المطلع : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق** ﴾ [ ١ - ٢ ] .

ثم الأجسام إما أبدية ، وكلها خيرات محضة ، لأنها بريئة عن الاختلافات والفطور ، على ما قال : ﴿ **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور** ﴾ [ ٦٧ : ٣ ] . وإما عنصرية ، وهي إما جمادات ، فهي خالية عن جميع القوى النفسانية ، فالظلمات فيها خالصة ، والأنوار عنها زائلة ، وهو المراد من قوله : ﴿ **ومن شر غاسق إذا وقب** ﴾ [ ١١٣ : ٣ ] . وإما نبات ، والقوة العادلة هي التي تزيد في الطول والعمق معاً ، فهذه القوة النباتية كأنها تنفث في العقدة . وإما حيوان ، وهو محل القوى التي تمنع الروح الانسانية عن الانصباب إلى عالم الغيب ، والاشتغال بقدس جلال الله ، وهو المراد بقوله : ﴿ **ومن شر حاسد إذا حسد** ﴾ .

ثم إنه لم يبق من السفليات بعد هذه المرتبة سوى النفس الإنسانية ، وهي المستفيدة ، فلا يكون مستفاداً منها ، فلا جرم قطع هذه السورة ، وذكر بعدها في سورة الناس مراتب ودرجات النفس الإنسانية . انتهى .

ولم يبين المراتب المشار اليها . وقد بينها ابن الزملكاني في أسراره فقال :

إضافة ( رب ) إلى ( الناس ) تؤذن بأن المراد بالناس : الأطفال ، لأن الرب من : رَبَّه يربُّه ، وهم إلى التربية أحوج . وإضافة ( ملك ) إلى ( الناس ) . تؤذن بإرادة الشباب به ، إذ لفظ ( ملك ) يؤذن بالسياسة والعزة ، والشبان إليها أحوج . وإضافة ( إله ) إلى ( الناس ) تؤذن بأن المراد به الشيوخ ، لأن ذاته مستحقة للطاعة والعبادة ، وهم أقرب . وقوله : ﴿ **يوسوس في صدور الناس** ﴾ يؤذن بأن المراد بالناس : العلماء والعباد ، لأن الوسوسة غالباً عن الشُّبَه . وقوله : ﴿ **من الجنة والناس** ﴾ يؤذن بأن المراد بالناس : الأشرار . وهم شياطين الإنس الذين يوسوسون لهم . والله أعلم .

## تم بحمده تعالى وتوفيقه

قال مؤلفه نفعنا الله ببركاته ، وأمدنا من نفحاته : فرغت من تأليفه يوم الأحد ، الثالث عشر من شعبان سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعيم الوكيل .

* * *

# الفهرس


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| إهداء | ٧ |
| المقدمة | ٩ |
| ترجمة المؤلف | ٢١ |
| بين يدي هذا الكتاب | ٢٥ |
| مقدمة المؤلف | ٢٧ |
| تمهيد | ٣١ |
| في ترتيب السور | ٣٣ |
| سورة البقرة | ٤٢ |
| سورة النساء | ٥٦ |
| سورة المائدة | ٦١ |
| سورة الأنعام | ٦٥ |
| سورة الأعراف | ٦٩ |
| سورة الأنفال | ٧١ |
| سورة براءة | ٧٥ |
| سورة يونس | ٧٦ |
| سورة هود | ٧٧ |
| سورة يوسف | ٧٨ |
| سورة الرعد | ٧٩ |
| سورة ابراهيم | ٨٠ |
| سورة الحجر | ٨١ |
| سورة النحل | ٨٣ |

سورة بني اسرائيل ........ ٨٥
سورة الكهف ........ ٨٦
سورة مريم ........ ٨٨
سورة طه ........ ٨٩
سورة الأنبياء ........ ٩١
سورة الحج ........ ٩٢
سورة المؤمنون ........ ٩٣
سورة النور ........ ٩٤
سورة الفرقان ........ ٩٥
سورة الشعراء ........ ٩٧
سورة النمل ........ ٩٨
سورة القصص ........ ٩٩
سورة العنكبوت ........ ١٠١
سورة الروم ........ ١٠٢
سورة لقمان ........ ١٠٣
سورة السجدة ........ ١٠٤
سورة الأحزاب ........ ١٠٥
سورة سبأ ........ ١٠٦
سورة فاطر ........ ١٠٧
سورة يس ........ ١٠٨
سورة الصافات ........ ١٠٩
سورة ص ........ ١١٠
سورة الزمر ........ ١١١
سورة غافر ........ ١١٢
سورة القتال ........ ١١٣
سورة الفتح ........ ١١٥
سورة الحجرات ........ ١١٦
سورة الذاريات ........ ١١٧

سورة الطور ........ ١١٨
سورة النجم ........ ١١٩
سورة القمر ........ ١٢٠
سورة الرحمن ........ ١٢١
سورة الواقعة ........ ١٢٢
سورة الحديد ........ ١٢٣
سورة المجادلة ........ ١٢٤
سورة الحشر ........ ١٢٥
سورة الممتحنة ........ ١٢٦
سورة الصف ........ ١٢٧
سورة الجمعة ........ ١٢٨
سورة المنافقون ........ ١٢٩
سورة التغابن ........ ١٣٠
سورة الطلاق ........ ١٣١
سورة التحريم ........ ١٣٢
سورة تبارك ........ ١٣٣
سورة ن ........ ١٣٤
سورة الحاقة ........ ١٣٥
سورة سأل ........ ١٣٦
سورة نوح ........ ١٣٧
سورة الجن ........ ١٣٨
سورة المزمل ........ ١٣٩
سورة المدثر ........ ١٤٠
سورة القيامة ........ ١٤١
سورة الانسان ........ ١٤٢
سورة المرسلات ........ ١٤٣
سورة عم ........ ١٤٤
سورة عبس ........ ١٤٥

سورة التكوير ........................ ١٤٦
سورة الأنفطار ........................ ١٤٧
سورة المطففين ........................ ١٤٨
سورة الانشقاق ........................ ١٥٠
سورتا البروج والطارق ........................ ١٥١
سورة الأعلى ........................ ١٥٢
سورة الغاشية ........................ ١٥٣
سورة الفجر ........................ ١٥٤
سورة البلد ........................ ١٥٥
سور الشمس والليل والضحى ........................ ١٥٦
سورة ألم نشرح ........................ ١٥٨
سورة التين ........................ ١٥٩
سورة العلق ........................ ١٦١
سورة القدر ........................ ١٦٢
سورة لم يكن ........................ ١٦٣
سورة الزلزلة ........................ ١٦٤
سورة العاديات ........................ ١٦٥
سورة القارعة ........................ ١٦٦
سورة التكاثر ........................ ١٦٧
سورة الفيل ........................ ١٦٨
سورة قريش ........................ ١٦٩
سورة الماعون ........................ ١٧٠
سورة الكوثر ........................ ١٧١
سورة الكافرون ........................ ١٧٢
سورة النصر ........................ ١٧٣
سورة تبّت ........................ ١٧٤
سورة الإخلاص ........................ ١٧٥
سورتا الفلق والناس ........................ ١٧٦